المشرق

نظر عام في سابق العام ✲

للاب لويس شيخو اليسوعي

تمرُّ الاعوام وتمرُّ معها فلا يدوم الّا الحيّ الباقي الذي يقول عنهُ الكتاب (المزمور ١٠١): «اللهمَّ في البدء اسَّستَ الماوات والارض. هي صنع يديك هي تبلى وانت تبقى وكلُّها تبلى كالثوب وتطويها كالرداء فتتغيَّر وانت انتَ وسنوك لن تفنى»

على انَّ الاعوام اذا مضت تبقى منها ذكراها مدوَّنةً في بطون التواريخ إنْ حسنة وإن سيّئةً فالحسنة يجب على البشر ان يشكروها لهُ تعالى والسيّئة يُقتضى الاستغفار منها والتكفير عنها. وها نحن نروي كمألوف عادتنا في اوائل كل عام اخصّ الوقائع التي جرت في السنة الماضية المدنيَّة والدينيَّة مؤجّلين لعدد آخر ذكر العلوم وترقّيها

اوربَّة

﴿الكرسيّ الرسوليّ﴾ كانت السنة الاخيرة سنةً ميمونةً مباركةً وجد فيها الحبر الروماني تعزيةً وسلواناً بما رآهُ عموماً من رقيّ الكثلكة في معظم انحاء المعمور. وقد بلغ قدلستهُ عددَ حاشيتهِ من امراء الكنيسة وكرادلتها الى ٦٦ عدداً النصفُ منهم

✲ ﴿اصلاح غلط﴾ جاء في الصفحة الاولى من عدد المشرق الاوّل للسنة الجديدة ١٩٢٥ انها توافق السنة ١٦٤١–١٦٤٢ هجريَّة وهو غلط ظاهر كان سببهُ انتقال العفاف سهواً من تاريخ الى آخر. وكان في الاصل انَّ السنة ١٩٢٥ توافق السنة القبطيَّة ١٦٤١–١٦٤٢ والسنة الهجرية ١٣٤٢–١٣٤٣ وقد ابتدأت السنة ١٩٢٥ في ٦ جمادى الآخرة. فوجب التنبيه

ايطاليُون والنصف الآخر من دول شتى

وقد توالت في امّ المدائن اعياد شائقة نخصّ منها بالذكر الاحتفال بالمئة السادسة عشر لتدشين كنيسة مار يوحنّا اللاتراني التي انشأها قسطنطين الكبير سنة ٣٢٤ . وهذه الكنيسة هي كرسيّ الحبر الاعظم البطريركي التي تُعَدّ في مقدّمة كنائس العالم الكاثوليكيّ وفيها من الذخائر الثمينة والآثار الدينيّة ما لم تحصل عليهِ غيرها

وفي يوم عيد الصعود اعلن بيوس الحادي عشر رسميًّا بيوبيل السنة ١٩٢٥ الذي يقع في كلّ ربع قرن وهو اليوبيل الثاني والعشرون منذ انشاء اليوبيلات سنة ١٣٠٠ وقد افتتحهُ برتبة جميلة حضرها الوف من الزوّار وذلك بفتحهِ الباب الذهبي لكنيسة مار بطرس الذي يبقى مرصَدًا في بقيّة السنين فتحهُ قداستهُ بمطرقة ومالج من الذهب قدّمها اساقفة اميركة لهذه الغاية

ومن حفلات رومية التي باركها الحبر الاعظم وأصدر فيها براءةً خصوصيّة يوبيل الجامعة الغريغوريّة التي كان قداستهُ احد المتخرّجين فيها مع سلفَيهِ لاون الثالث عشر وبندكتوس الخامس عشر فتمّت تلك المواسم البهجة في اواسط أيار الماضي (اطلب المشرق ١٩٢٤ ص ٨٦١–٨٦٩)

وممّا سُرَّ بهِ قلب ابي المؤمنين ما وجدهُ من توجيه نظر معظم الدول الى مقام نائب السيد المسيح حتى اقصاها من كاثوليكيّة وغير كاثوليكيّة كالصين واليابان والحبشة وبعض جمهوريّات اميركة الجنوبيّة . وكم اقبل اليهِ من الوفود والزوّار من انحاء المعمور ليتبرّكوا بلثم انامله ويسمعوا تعاليمهُ الخلاصيّة . وبابهُ لا يزال مفتوحاً للجميع وهو ابو الجميع حتى الصغار والاطفال كاستقبالهِ في ١٠ ك٢ لسبعة آلاف من فتية وفتيات المدارس مع معلّميهم ومعلّماتهم .

وهي محبّتهُ لخلاص العالم ولخير الشعوب التي حدَتْ بهِ الى توسيع نطاق شركة انتشار الايمان ليدعو الى نور الانجيل الامم المتسكّعة تحت ظلال الجهل والموت . فبلغ مجموع حسنات تلك الشركة في العام الماضي ٣٠ مليوناً من الفرنكات . أرسلت منها سوريّة خاصّةً على يد احد ابناء رهبانيّتنا قريباً من ٣٥ الفاً

وتعزيزاً لهذا المشروع الجليل امر قداستهُ بان يخصّص للرسالات الكاثوليكيّة في سنة اليوبيل معرضٌ واسع يُطلع كل الزوّار على مساعي المرسلين في ترقية الشعوب

دينيًا وادبيًا ومادّياً وهو اليوم يستوقف ببدائعه انظار كلّ زائريه

ولم يفرق الحبر الاعظم محبّتهُ للارواح عن محبّتهِ لسلامة الاجساد فانّهُ مع كونهِ افقر ملوك الارض ارسل الى طرابزون ٥٠٠٫٠٠٠ فرنك اسعافاً لمهاجري اليونان. واهدى مثلها مساعدةً لمنكوبي باريس بعد الفياضانات الاخيرة التي جرت هناك. وقد مرّ لنا ذكر ما يصرفهُ على المتضوّرين بالمجاعة في روسيّة. لا يرى في كلّ ذلك افادةً شخصيّة بل مجرّد خير الشعوب سواء كانوا خاضعين لسلطتهِ ام خارجين عنها

وتسهيلًا لمعاملات الامم مع الكرسي الرسولي قد دُشّنت في الفاتيكان محطّة للتلغراف اللاسلكي تقبل البرقيّات من جميع انحاء اوربّة واميركة. وقد استدعى الحبر الاعظم المستير مركوني ليتّفق معهُ ويجعل تلك المحطّة عموميّةً تشمل كل البلاد المأهولة

﴿فرنسة﴾ كانت الخمسة الاشهر الاولى من السنة ١٩٢٤ أيّام هدوء وسلام رغماً مما كان شائعاً في الدولة من غلاء العيش بسقوط قيمة الفرنك لمضاربات سيّئة بتعاطاها بعض الاجانب في اميركة و نكتة الّتي أدّت الى زيادة دَيْن فرنسة وتوفير الضرائب ما كان سبباً بعد الاستقلال [illegible] الى تلك وزارة المسيو پوانكاره واستعفاء المسيو ميلران رئيس الجمهوريّة اصبح زمام الامور في ايدي الاشتراكيين والراديكاليين وصارت رئاسة الجمهوريّة الى المسيو غستون دومرغ وأُسندت الوزارة الى المسيو ادوار هِريو

وكان المسيو ميلران مع المعتدلين من مجلس الندوة اثبتوا السفارة في الفاتيكان وعيّنوا لتدبيرها المسيو دولبه. وفي رأس السنة لمّا قدّم المنسيور سيرّتي سفير الكرسي الرسولي لرئيس الجمهوريّة التهاني المعتادة باسم كل رصفائهِ سفراء الدول كان جواب المسيو ميلران انّ رجاءهُ وطيد في دوام السلام وتألّف القلوب. وكرّر الامر المسيو پوانكاره في خطاب القاهُ امام جمعيّة المحالفة الجمهوريّة في ٢٩ نيسان واكد انهُ سيسعى الى توطيد السلام الديني

ومع ما نُفذ وقتئذٍ من بعض القرارات السابقة المادية للكنيسة ظهر في جملة امور اعتدالُ الدولة في اتّفاقها مع الاساقفة بخصوص تدبير الاوقاف وتأليف شركات مستقلة في نظامها كما رضي بها الحبر الاعظم بعد مخابرات متوالية وتنقيح ما وجدهُ

في تقارير الدولة مجحفاً بحقوق الكنيسة واصدر في ذلك براءة في تاريخ ١٨ ك٢

ومن مجاملات الدولة انها سمحت للكاثوليك وارباب المجلس البلدي ان ينصبوا تمثالاً جميلاً للقديسة جان درك على جسر باريس الجديد المسمّى تورنال (Tournelle)

ومنها الغاء الحكومة ما صدر بحق بعض الراهبات البندكتيّات سنة ١٩١٤ وما وردحينئذٍ في إقفال مآويهنّ. كما انها رخّصت لجمعيّات المرسلين ان يفتحوا في فرنسة اديرةً لطالبي الترهّب بينهم

ومنها ايضاً امتيازات شرفيّة عرفت فيها الدولة خدم الإكليروس فقدّمت اوسمةً ذات رُتب مختلفة من فرقة فرسان الشرف لعدّة اساقفة ورهبان وراهبات نخصّ منهم بالذكر رئيس اساقفة باريس الكردينال دوبوا والكردينال رئيس اساقفة اورليان السيّد ترشه وحضرة الاب بورتين (P. Burtin) من جمعيّة الآباء البيض ورئيس مدرسة الصلاحيّة سابقاً

وسرعان ما تغيّرت هذه السياسة بعد انتخابات شهر ايّار وسقوط وزارة بوانكاره وتقدمة ميلران استعفاءه. فكان الحزب المتغلب مع الرئيس دومرغ ورئيس الوزارة هريو متطرّفاً معادياً للدين مشايعاً للديموقراطيّة. فكان اوّل ما عرضهُ هريو على المندوبين تعزيز المدارس العلمانيّة والغاء السفارة لدى الفاتيكان وتنفيذ الشريعة في الجمعيّات الرهبانيّة والغاء امتيازات الزواس ولورين الدينيّة. فكان لهذا الاعلان اسوأ فعل في قلوب الوطنيّين ولاسيما الكاثوليك فتحفّزوا للدفاع عن حقوقهم وألّفوا الجمعيّات برئاسة الاساقفة وكبار المأمورين وخصوصاً الجنرال كستلنو وقدّموا الاحتجاجات القويّة وانذروا ارباب الدولة باستعدادهم لصيانة حقوقهم حتى بالقوّة وقد نشروا ذلك الكتاب الذي اشرنا اليه (ص١٠١٣) La Dic-tature de la Franc-Maçonnerie sur la France مبيّنين بنصوص عديدة انّ ما يُعرض على مجلسي النواب والاعيان من الشرائع ليس هو الّا ما سنّتهُ الجماعات الماسونيّة في محافلها المظلمة حرفيّاً. فكان لهذا الكتاب ولاحتجاجات الاكليريكيين الذي كانوا في سلك المتجنّدين في الحرب الكونيّة والمجروحين فيها احسنُ وقع لدى العموم. والامل معقود انّ هذا الحزب لا يثبت طويلاً ما لم يَحِد عن اعوجاجهِ

ومما اثّر في الوطنيين ما تهدّدهم من غلبة الشيوعيّة والآراء البولشفيّة على بلادهم ولاسيما بعد قبول المجلس طلب هريو بمصالحة روسيّة البولشفيّة واكتشاف فئة كبيرة من البولشفيين في باريس ينشرون تعاليمهم الفاسدة وتنقل رفات جوريس الى البنتيون (٢٣ ت٢) . فكلّ ذلك حرّك الاستياء من الحكومة الجديدة واعمالها الآئلة الى تدمير البلاد ودفع الوطنيين الى معاداتها جهارًا

ومما يشكره الشرقيّون لفرنسة الحفلة الحافلة التي جرت في ٢٢ شباط في كنيسة باريس الكبيرة المعروفة بالمجدليّة (la Magdelaine) ذكرًا للاساقفة الاثني عشر الكاثوليك الشرقيين الذين ذهبوا ضحيّة الاتراك في زمن الحرب فحضر جمهور الشعب رتبة القداس المقام على الطقس الماروني وعقبته عظة في منتهى البلاغة للكردينال توشه مطران اورليان في مديح اولئك الاحبار الابرار ضحايا الهمجيّة والظلم

وقد سعى رئيس اساقفة باريس الكردينال دوبوا مع ثلثة اساقفة وبعض الكهنة في توثيق روابط الولاء والحبّ القديمة بين فرنسة وسوريّة فعادوا الى تلك البلاد وقوبلوا بما من التقدير والاكرام من قبل رؤساء الدولة السوريّة وعموم الشعب مما دلّ دلالًا بيّنًا على انتزاف قلوب اهل الدولتين

وفي ٢ حزيران قصدت فرنسة احد ابنائها الاعزّاء الذين كرسوا يسعون الى تمكين قدمها في سوريّة بمشروعاتها الادبيّة والخيريّة نعني به السيّد بول هوفلين (P. Huvelin) من اساتذة جامعة ليون واليه يعود الفضل خصوصاً في انشاء مدرسة الحقوق الفرنسويّة في الثغر

وفي اواسط كانون الاوّل توفي في باريس كاهن عظيم الفضل الاب الفانوي روسّلو (Rousselot) معلم الطبيعيّات في كليّة باريس الكاثوليكيّة خدم وطنه والعلم باكتشافات كبيرة الشأن لمعالجة الصمّ ودرس خواصّ الاصوات ولتعريف مواقع غوّاصات العدوّ في عمق البحر فخلّص بذلك سفنًا عديدة من مراكب الدولة الحربيّة التي لولاه كانت ثلغت بقذائف الالمان

﴿انكلترة﴾ كان الفوز في انتخابات مجلس النوّاب في شهر كانون الثاني لحزب العمّال بسقوط وزارة مشاتلي بلدوين وانتخاب رمساي مكدونلد كرئيس وزارة فكان لهذه الانتخابات في طبقات الانكليز الطيا سوء تأثير وهذه اوّل مرّة تصنع

دفّة الامور في ايدي غير المحافظين. لكن موقف الوزارة الجديدة بقي حَرِجاً الى ان اصيبت بأزمةٍ قلبتها مع قلب حزبها وتجدّدت الانتخابات فعاد الفوز للمحافظين في تشرين الثاني واستدعى جلالة الملك جورج الخامس ستانلي بلدوين وعهد اليه تأليف وزارة محافظة

على انّ مكدونلد في زمن وزارته لم يَحِدْ في سياسته الخارجيّة عن طريقة سلفائه فكان بازاء فرنسة والمانية وتركية يعضد دولتهُ ومصالحها طاقة جهده حتى في مطامعها البالغة. وبمساعيه خصوصاً صارت مفاوضة لندن في ١٦ ايلول بعد قرار لجنة «داوس وما كِنّاه» بخصوص استطاعة المانية على دفع التعويضات.. وهناك تقرّر خروج الحلفاء من مقاطعة الروهر في ١٠ كانون الثاني على شروط تعيّنت

وقد حبط مسعى اللجنة المختلطة من فرنسويين وانكليز لفتح النفق تحت مضيق المنش بين الدولتين وذلك بمعاكسة جمعيّة انكليزيّة تدعى جمعيّة الدفاع عن مصالح انكلترّة لزعمها بانّ في ذلك خطراً على بريطانية العظمى اذا ما انتشبت حرب بين الدولتين

كانت السنة ١٩٢٤ سنة نجاح ورقي للكنيسة الكاثوليكيّة في انكلترّة. وقد جاء في نشرةٍ رسميّة انّ عدد المهتدين الى نور الايمان منذ آخر الحرب قد بلغ سبعين الفاً بينهم عدّة رُعاة من البروتستانت

ومما يدلّ على نفوذ الدين الكاثوليكيّ انتخاب حاكم كاثوليكي وهو المستر توما وِلْيام لمدينة برمنغام ثانية حواضر انكلترّة وهذه اوّل مرّة يقع الامر منذ انفصال انكلترة عن طاعة رومية ولاسيما انّ اربعة اخماس المدينة من البروتستانت. وقد وقع ايضاً مثل هذا الانتخاب على الكاثوليكي الفرد بارِرْ كحاكم على لندن يساعده معاونان كاثوليكيّان فردريك بَرْتْرُب و ه. دَوْرْ

وقد اظهر الكاثوليك الانكليز حماسهم الديني في عدّة ظروف. ففي ١١ شباط يوم عيد سيّدة لورد اجتمع منهم في كاتدرائيّة وستمنستر ما ينيف على ١٠٫٠٠٠ شخص لاكرام البتول فطافوا بتمثالها الذي كان يحملهُ رجال البوليس الكاثوليك يحدق بهم اكثر من الف ولد يتغنّون بمحامد العذراء — وقد زار غيرهم في الصيف معبد لورد في فرنسة في عدد ١٤٠٠ يتقدّمهم خمسة اساقفة مع ١٨٠ مريضاً حُملوا

طلباً للشفاء من سيدة العجائب فنال بعضهم ما أمّلهُ — وحظي ٣٠٠ من البحريين بالمثول أمام الحبر الاعظم في القاتيكان فرأوا من لطفهِ ما اذهلهم لاسيما اذ قال لهم انهُ هو ايضاً بحريٌّ مثلهم وربّان السفينة البطرسيَّة التي وكل اليهِ المسيح دفّتها

وقد اعلن الكردينال بودن في منشور كتبهُ لرعيَّتهِ ما دار بينهُ وبين رؤساء الكنيسة الانكليكانيَّة من المفاوضات في شأن تقرّبهم الى الكنيسة الكاثوليكيَّة ويحرّضهم على الصلاة لتحقيق هذه النيَّة . وروى لهم في منشور آخر ترقّي الدين الكاثوليكي في ابرشيَّتهِ بنوع عجيب يحيي الآمال ويثلج الصدور — والى نيافتهِ ايضاً يعود الفضل في انشاء شركة كاثوليكيَّة تسعى الى تأليف القوى الكاثوليكيَّة في انحاء العالم بمبادلة المخابرات معها في شؤون الدين

ومن ادلَّة الغيرة في قلوب كهنة الانكليز لخلاص اخوتهم المنفصلين انَّ عدداً منهم يركبون في أيام الآحاد والاعياد السيَّارات فيذهبون الى قرى ومزارع بعيدة . فيحوّلون سيَّاراتهم الى معابد يقدّمون فيها الذبيحة الطاهرة ويقومون فيها واعظين للحضور من كاثوليك وغيرهم

أمّا ايرلندة فان سيارتها لا تزال معطرة بأكسير الدين من رؤوسها وحياة ابنائها يرضعونهُ مع الحليب . لا نغالي في القول انَّ لفظة ايرلندي مرادفة لكاثوليكي . وقد اسفوا في العام الماضي على فقد احد زعماء كنيستهم الكردينال لوغ (Logue) جاثليق ايرلندة منذ السنة ١٨٨٧

﴿المانية﴾ قد تكرّرت الانتخابات العموميَّة في اوائل أيار فتأيّدت الجمهوريَّة وغلب حزب الوطنيّين المعادين لمعاهدة ڤرسايل على حزب الاعتدال وضبط مقاليد التدبير الكنشلار مركس وهو كاثوليكيّ المذهب من حزب الكاثوليك المعروفين بالمركزيّين وعددهم ٦٥ مندوباً . وقد ألحّوا على الحلفاء ليخرجوا من مقاطعة الرور واعدين بوفاء التعويضات . فرضي الفرنسويّون والبلجكيّون وجعلوا موعد خروجهم في ١٠ ك ٢ من السنة الحاليَّة . وكان بين شروط ارتحالهم ان تفتّش لجنة على ما في المانية من العُدَد الحربيَّة لئلا تزيد على ما قرّرهُ سفراء الدول . فكانت نتيجة هذا البحث انَّ عند الالمان من الاسلحة والعُدَد الحربيَّة ما يدلّ على استعدادهم لاستئناف الحرب أخذاً بثأرهم . ومن ثمّ أبى الحلفاء الخروج في الوقت المعيَّن ريثما يقوم الالمان

بوعدهم . وقد حصلت مؤخرًا ازمة جديدة في الوزارة فقام ستريسمان لتدبيرها بدلًا من مركس

فترى انَّ امور المانية السياسيَّة لم تزل في اضطراب وبين اهلها المتطرّفون الذين ينوون الاثار بحرب ثانية . منهم لودندُرف الذي نقم على الكاثوليك لمناقضتهم لآرائهِ فحمل عليهم حملةً شعواء في مونيخ أثارت عليهِ البغضاء وسيَّئت احتجاجات ارباب الدين والعقلاء على شناعتهِ

على انَّ هذه المنازعات السياسيَّة لم تُضعف عزائم الكاثوليك فعقدوا المؤتمرات الدينيَّة والادبيَّة والاجتماعيَّة فبحثوا عن كلّ شؤون الكنيسة والوطن تحت رئاسة كرادلتهم واساقفتهم فضمُّوا قواهم لمناصرة الآداب ومناهضة الفتن الشيوعيَّة والاحزاب الماسونيَّة

﴿النمسة﴾ كانت امور النمسة بهمَّة رئيسها وكانشليارها المنسنيور سَيْبل آخذةً في الاصطلاح وكلّ الاحزاب على اختلاف نزعاتها تقرُّ لهُ بالحكمة وحسن السياسة . لكن محبي الدسائس والفتن لم يمكنهم ان يصبروا على تدابيرهِ الراشدة ففي غرَّة حزيران اطلق واحد منهم رصاصة في صدرهِ كادت تكون القاضية على حياتهِ الثمينة لولا العناية الالهيَّة فشفي بعد مدَّة من جروحهِ وعاد الى معالجة امور وطنهِ الى ٦ ت ٢ حيث قدَّم استعفاءهُ لِما رأى من المعاكسة في تنفيذ احكامهِ خصوصاً في ضبط ماليَّة الدولة . فقام عوضاً عنهُ في ١٩ من الشهر السيد رَنك وهو ايضاً من حزب الكاثوليك المعروفين بالمسيحيّين الاجتماعيّين

وقد تحسَّنت تجارة النمسة البحريَّة في العام الماضي فكادت تساوي تجارتها السابقة للحرب . وممَّا اعانها على ذلك معاهدتها التجاريَّة مع تركيَّة وهي قريبة منها وكانت في زمن الحرب محالفةً لها

﴿ايطالية﴾ رسخت قدم السنيور موسوليني في الانتخابات التي جرت في ٦ نيسان واصبح لهُ الحكم المطلق في تدبير المملكة لولا مغالاة البعض من الفاشست اصحابهِ الذين اثاروا عليهم الرأي العام بعد قتلهم للمندوب ماتيوتي رئيس الحزب الاشتراكي في ١٠ حزيران فاضطرَّ السنيور موسوليني الى ان يلطّف معاملاتهِ مع الاحزاب المعادية لهُ ويدخل في الوزارة بعض الاصلاحات لكنَّهُ ثبت على وقوفهِ وقفة الحزم بازاء

اصحاب الثورة والفتن والجمعيات الماسونيّة يتعقّب آثارهم ويكسر شوكتهم

ومما زاد مقام السيّد موسوليني رسوخاً لدى العموم سياستهُ بازاء اليونان لمّا انزل الجنود في كورفو ليضطرّ الدولة اليونانيّة على دفع ما طلب منها من التعويضات لتعديهم على البعثة الايطاليّة في ايبروس . وقد استحسنوا ايضاً تدابيرهُ واتّفاقهُ مع الدولة اليوغوسلافية والانكليزيّة فتنازلت الاولى لايطالية عن مدينة فيومه والثانية عن بلاد جوبَلَند في افريقية الشرقيّة

وقد شكرهُ الكاثوليك لما اظهرهُ هو وزوزاوهُ من الفطنة في قمع الفساد المنتشر في بعض الجهات فامر بمراقبة الشوارع والمسارح والمطبوعات لئلّا تسري اليها الخلاعة ويُخدش بها وجه الآداب . وكذلك تصدّى لامر الطلاق ومنع من اسناد الوظائف للمطلّقين نساءهم والمفرسون

وعلى خلاف ذلك امر بتعطيل الاشغال العموميّة في الآحاد والاعياد . وزاد في رواتب ارباب الكنيسة زيادةً لائقة بمقامهم . واتّفقت الحكومة مع لجنة الكرادلة لاعداد كلّ لوازم الزوّار المتقرّين في السنة اليوبيليّة لايوائهم ومعاشهم . وسنّ رئيسها بنصب الصليب فوق الكابيتول كما كان في عهد الدولة البابويّة . واعاد في المدارس التعليم المسيحي مقرًّا بما نجم عن اهماله من روح الكفر وانتشار الفساد والفتن

وقد ظهرت ايضاً النهضة الدينيّة في ايطاليا في العام المنصرم في ٧ ايلول حيث جرى مؤتمر قرباني في بالرمو عاصمة صقلّية تناوَلَ فيهِ القربان خمسة عشر الفاً من الاولاد وسار في طواف القربان الوفٌ مؤلّفة من الشعب مشوا في اكرامهِ ستّة كيلومترات

وسُرَّ الايطاليّون الكاثوليك بانشاء جامعة ميلانو الحديثة التي اهداها المحسنون مليوني فرنك وايّدتها الدولة فمنحت لها امتيازات كلّيّاتها الرسميّة

﴿بلجيكة﴾ تجاهد مع فرنسة في اصلاح ما اختلّ من امورها باحتلال الاعداء في أمخاخها ثمّ في مطالبتها من المانية بالتعويضات عن الخسائر التي لحقت بها وبإصرارها على احتلال الرهر ريثما تقوم تلك الدولة بمواعيدها

في شهر آذار حصلت ازمة وزاريّة فوقع الاختيار في ١٠ منه على رئيسها السابق

تونيس وتعيّن للوزارة الخارجيّة المسيو هيمانس بدلًا من جنبار. وقد اثنى العموم على المسيو ديبلواج لخطابه النفيس الذي القاهُ في بروكسل في مجلس الاعيان ضدّ شريعة الطلاق

وفي الاجمال يقال ان الكثلكة عالية المنار في بلجيكة والدليل على ذلك انّ عدد تلامذة المدارس الكاثوليكيّة الدينيّة ٣١٫٦٤٨ وتلامذة المدارس الحرّة ١٠٫٠٠٠ فقط

ومن الادلّة البيّنة على اعتصام البلجكيّين بحبل الدين المواسم الشائقة التي قامت بها البلاد عموماً مع الحكومة بنسبة يوبيل الكردينال مرسيه في شهر أيار. وقد اهدتهُ ايضاً فرنسة اكبر أوسمتها الشرفيّة

وقد ظهرت ثقة الانكليكان بنيانهِ اذ استدعاهُ رئيس اساقفة كنتربوري مع زعيم الانكليكان السيد هَلفاكس وغيرهما الى تبادل الافكار في امور الدين الكاثوليكي. فكانت هذه المفاوضات مزيلةً لمدّة اوهام في امر الكثلكة

﴿اسبانية والبورتغال﴾ انّ الحرب المراكشيّة اقلقت الدولة الاسبانيّة لما لحق فيها الجنود من الخسائر بازاء الوطنيّين المجاهدين في سبيل استقلالهم وربّما يعضدهم ضبّاط من الاجانب مع ما يستحضرونهُ من الاسلحة من المانية سرًّا. لكنّ رئيس الحكومة المطلق السلطة بريمو دي ريفيرا يسوس البلاد بحزم ويتصدّى لمكري مياه السلام. وفي الانباء الاخيرة ان الجنود الاسبانيّة تمكّنت من توقيف حركات العدوّ سابقاً واسترجاع ما فُقد من المواقع التي احتلّتها

وقد صار اتّفاق بين فرنسة وانكلترّة واسبانية بخصوص مدينة طنجة واستقلالها اذا ما تخلّت عنها اسبانية

امّا ﴿البرتغال﴾ فاخذ يصحو نوعاً من سكرتهِ بعد ثورتهِ السابقة فانّ الجمهورية الجديدة قد احسّت بما تحتاج اليهِ من مسالمة الكاثوليك. ومن الادلّة المشهرة بذلك المؤتمر القرباني الذي التأم في مدينة براغة ورأسه بطريرك لشبونة الكردينال بِنديش فسار في تطوافهِ في آخر يومهِ نحو ٢٠٠٫٠٠٠ شخص وتناول القربان ٣٫٢٠٠ ولد. فلم يمتْ الدين كما زعم بعض المتشدّقين!

﴿سويسرة﴾ نالت سويسرة شرفاً بنصب مجلس عصبة الامم في مدينتها لوزان

فالعيون ابدًا شاخصة اليها. وفي مدينتها لوغانو عُقد المؤتمر الرابع للمحالفة الكاثوليكيَّة الدوليَّة الذي حضرهُ مندوبون من كلّ الدول وصدّق عليهِ قداسة الحبر الاعظم ببراءة اثنى فيها على هذا المشروع الاجتماعيّ الجليل. ومما اقترحهُ اصحاب المؤتمر نشر مجلَّة عموميَّة لتبادل الافكار بين الكاثوليك. ثم انشاء تلفون لاسلكي مع انحاء المعمور للغاية ذاتها. وكان فضلًا عن المؤتمر المذكور مؤتمر آخر خاصّ بالكاثوليك الريبريين. ومن اخبار سويسرة السياسيَّة تولّي الحزب الراديكالي على معاملاتها في ٩ ت٢. ولعلَّهُ يخرب ما ابتناه الحزب الكاثوليكي

﴿ هولندة ولوكسمبورج ﴾ ترقي الكثلكة في هولندة سائر بالتواصل. فانَّ الكاثوليك ينيفون على ١،٩٠٠،٠٠٠ وكانوا قبل مئة سنة نحو ٣٥٠،٠٠٠ فقط لا نفوذ لهم بين مواطنيهم. واما اليوم فتراهم يشغلون المناصب العليا ولهم في مجلس الدولة الكلمة الراجحة مع المحافظين

واخصّ ما عظّم في السنة الماضية الدينَ الكاثوليكيّ في اعين البروتستانت المؤتمر القرباني الدولي وهو السابع والعشرون من جنسهِ جرى في امستردام عاصمة هولندة حضرهُ سبعة كرادلة و١٢ رئيس اساقفة و ٣٢ اسقفاً و ٢٩ رئيس رهبانيات. وقد ارسل الحبر الاعظم الكردينال ڤان روسوم رئيس مجمع انتشار الايمان لينوب عنهُ في هذا المؤتمر. فكان استقبالهُ في غاية ما يمكن من الرونق والابهة وسارت السفينة التي اقلّتهُ مصحوبةً بمئتي مركب اخر خرجت ترحيباً بهِ واستقبلتهُ في البرّ رسميًّا اعيان الدولة من كاثوليك وبروتستان وجماهير الشعب على ممرّ قاطرتهِ.. وكانت جلسات المؤتمر تقاطعها الحفلات الدينيَّة من جملتها حفلة مناولة الاولاد تقرَّب فيها ١٢،٠٠٠ ولد. واجتمع في نادي امستردام الكبير ٣٥،٠٠٠ لسماع خطبة الكردينال الاخيرة التي عقبها طواف القربان بنظام وتُقى لم تعهد مثلها امستردام منذ عهد انفصالها عن الكنيسة الرومانيَّة. فكان هذا المؤتمر ظفرًا باهرًا للكاثوليك مع انهم لا يزيدون عن ١٥٠،٠٠٠ في تلك العاصمة التي يبلغ عدد اهلها ٦٠٠،٠٠٠ نسمة

وقد فتح اليسوعيُّون في بعض مدن هولندة بيوتاً يقصدها اكليروس البروتستانت ليتبيَّنوا المعتقدات الكاثوليكيَّة ويزيلوا كلّ سوء فهم عنها في عقولهم. وفي اثر هذه

المحاضرات قد ارتدّ منهم كثيرون الى الكثلكة

وأمّا ﴿ لوكسمبورج ﴾ فدولة كاثوليكيّة تروج فيها كلّ اسباب الرقي ماديّاً وادبيّاً ودينيّاً . وقد اصاب فيها مؤتمرها القرباني نجاحاً عظيماً

﴿ بولونية ﴾ قامت هذه الدولة حاجزاً قويّاً في وجه روسيّة البولشفيّة وقد ارسلت الى رومية سفيراً السيّد زامويسكي يؤمّل عقد معاهدة دوليّة بين جمهوريّة بلاده والكرسيّ الرسوليّ . امّا رئيس تلك الدولة فيُدعى فوجسيتشكوفسكي من ذوي الحذق في سياسة وطنه والتعشّق في دينه . وقد أيّد مشروع المندوبين في مناهضة طالبي فصل الدولة عن الكنيسة والتعليم اللاديني والزواج المدنيّ

وفي ٣ أيّار عقد الكاثوليك في غنيازنو مؤتمرهم الذي ترأسه الكردينال دَلْبور رئيس اساقفة پوزن . ولرئيسي اساقفة فرسوفية السيد كاكوفسكي ورئيس اساقفة كراكوفية والسيّد الامير ساپيها في سائر بولونية اعتبار عظيم وكلام مسموع في كل امور الدنيا والدين

﴿ روسيّة ﴾ توفي فيها رئيسها السابق لينين الّا انّ روحهُ الشيوعيّة الربيلة لم تمت معهُ ولا يزال زعماء الدولة السوفياتيّة ينشرون في بلادهم مبادئهم الفتّالة بل اخذوا على نفسهم ان يفشوا سمّهم الذعاف في كلّ انحاء العالم فقد بثّوا دعاتهم في الدول الاوروبيّة كفرنسة وانكلترّة وايطالية ورومانية وبلجكة بل في الدول القاصية كالعجم والهند واليابان والصين . واليوم قد انتبه كثيرون من ارباب الدول الى الخطر الناجم عن دعوتهم فاخذوا يبحثون عنهم ويطردونهم ويدرأون عن بلادهم شرّهم . واخذوا اليوم يتفحّصون في الصين نار الثورة فانتشرت الفوضى في البلاد بدسائسهم امّا اليابانيّون فردّوهم خاسرين . بخلاف رئيس الوزارة الجديدة في فرنسة ومشايعيه الذين يعرّضون بلادهم المشيوعيّة بدراة روّضتهم

وفي ١٣ نيسان اطلق السوفيّات سراح السيّد شيبلاك Ciplack بعد اعتقاله زمناً طويلاً فخرج من روسيّة واستقبلهُ البولونيّون بكلّ تجلّة واكرام . وفي ٨ أيّار وصل الى رومية حيث اوقف قداسة البابا على احوال روسيّة ومظالمها . وقد ساعدت احوال روسيّة المضطربة كثيرين من المهاجرين على التقرّب من الكاثوليك بل على الاهتداء الى دينهم من جملتهم السيّد اسطفان دزوباي مع زهاء من ثلثين كاهناً روسيّاً

﴿اليونان﴾ خرج الملك جورج منفيًا من دولته وألغي حكم سلالة غلوسبورج على تلك البلاد في ٢٥ اذار واصبحت دولة اليونان جمهوريّة بعد تصويت الشعب في ١٦ نيسان

وقد اجتمع المسيو بوليتيس ممثل اليونان وفتحي بك ممثل تركيّة للمفاوضة في امر رعاياهما ليخرج اليونان من اراضي تركيّة والاتراك من مواطن اليونان. فعرض لهما اختلاف في الآراء رُفع الحكم فيه الى جمعيّة الامم

ومما بعث السرور في قلوب الكاثوليك ان اليونان جروا على التاريخ الغربيّ دينيًا ومدنيًا اللهم الّا عيد الفصح الذي ثبتت الكنيسة اليونانيّة على عيده بموجب الحساب القديم. وكذلك قرّرت رومانية والروم في مصر اتّباع التاريخ الغربي فعسى ان يقرّب الامر قلوب الشعوب وينفي عنها حزازاتها السابقة

﴿البلقان ودُوَلُه﴾ احسنت ﴿رومانية﴾ في مناهضتها للحركة البولشفيّة لكن اكليروسها الاورثذكسيّ اساء بوضع يده على كنائس الكاثوليك في مدينتي شيب وبوبلنا

في ثاني يوم من شهر [illegible] في سوس نيس ﴿يوغوسلافية﴾ ووزير الحربيّة فيها المسيو زيفتشيش على الكرسي الرسولي عقد معاهدة دوليّة فاجاب البابا بيوس الحادي عشر الى رغبتهما. وقد اجتمع الاكليريكيون في زغرب تحت سيادة اساقفتهم في ٢٩—٣٠ ك ٢ فتفاوضوا في حلّ المشاكل الدينيّة واصلاح احوال مرؤوسيهم

في ٧ شباط نشر رؤساء اساقفة واساقفة ﴿تشيكوسلوفاكية﴾ رسالة عموميّة للدفاع عن التعليم الديني في المدارس وعن حرّية الدين. ولمّا جرت الانتخابات العموميّة كان عدد المصوّتين لحفظ التعليم الديني ٧٥ في المئة

وفي ١٠ ايار عقد الكاثوليك مؤتمرًا حافلًا في فلهراد حيث قُبر رسول الصقالبة القديس ميثوديوس فبسطوا الكلام عن اتحاد الكنائس مع الكرسي الرسولي وكان المترئس على هذا المؤتمر رئيس اساقفة اولموز وحضره السيد مرماجي نيابةً عن الحبر الاعظم مع عشرين اسقفًا كاثوليكيًا وعدّة رجال من اعيان البلاد بينهم بعض المنفصلين سرّهم ما وجدوه بين الكاثوليك من سعة الافكار واللطف الجميل

(له تتمّة)

ترجمة

السيّد فرنسوا بيكه

لحضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني

توطئة

يسرُّنا ان ننشر في كل فرصة فضل اولئك الرجال الابطال الذين عطَّروا بسيَرهم ومآثرهم الطيبة بلادنا الشرقية وبهم توثَّقت علائقنا القديمة بالدولة الافرنسية الكريمة. واذا اتينا على نشر مثل هذه التراجم فانما نحن نقدّمها لابناء هذا العصر عبرةً لقوم يفقهون فيجدون فيها درساً لذيذاً ومفيداً يُطلعهم على احوال السلف وحوادث الايام وينكّب بهم عن المسالك المعوَّجة الخطرة الى جادَّة الحقّ والصواب ويبعث فيهم روح الاستماتة والتفاني في خير الوطن والعمل على الألفة والاتحاد الذي فيه القوة وعمران البلاد ويُقبل بهم الى التحدّي باصحاب الفضل الجزيل فان ذكر مآتيهم الغرّاء والاقرار بجميلهم جميل

فلاجل هذه الغاية قصدنا نشر ترجمة صاحب المبرّات الطيّب الاثر السيد فرنسوا پيكه الذي شغل في بلاد المشرق ثلاثة مناصب خطيرة كان في كلّها رجلاً مقداماً ليس لهُ من مقصد في جميع اعماله غير مجد الله تعالى وخير وطنهِ واصدقائهِ الشرقيين فان في ترجمته هذه فائدة للتاريخَين المدني والكنسي معاً كما سترى

وقد استندنا في ترجمته هذه على مؤلَّف نادر الوجود يحتوي سيرة السيد پيكه وضمهُ اسقف غراس السيد دَنتلمي (١ فطُبع في باريس سنة ١٧٣٢ . منهُ نسخة في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين وقد استقى مؤلفهُ اكثر معلوماتهِ من مكتوبات السيد پيكه نفسهِ ومن شيخ فاضل كان في خدمة ذلك الحبر المفضال . واستعان

١) هذا عنوانهُ : Vie de Mgr François Picquet, par *Cl. L. Oct.* D'ANTELMY évêque de Grasse, *Paris* MDCC XXXII

ايضاً ببعض اصدقائه منهم المسيو فرنسوا مالڤال من مرسيلية الذي نقل له كل ما حوتهُ من المعلومات عن بيكه تواريخ (annales) الآباء المرسلين الكرمليين. وكان من اقوى مناصريه في هذا العمل الاب مرسلينوس رئيس معاملة الارض المقدسة والوكيل العام لرهبانية الكرمليين الذي اخذ كثيراً من مرويَّاته من سجلَّات مجمع انتشار الايمان بواسطة الكردينال سكريپنتي (Sacripanti)

وقد طالعنا ما جاء عن المترجم في مجموعة الآثار المسيحية في الشرق للمرحوم الاب رباط اليسوعي. وقد ذكره العلامة الدويهي مثنياً على همتهِ العالية وافضاله العميمة (راجع تاريخ الطائفة المارونيَّة وجه ٣٢٩)

ونحن نقسم هذه الترجمة ثلاثة اقسام بحسب الادوار الثلاثة التي تقلَّب فيها المترجَم كتتصل دولتهِ ثم حلب ثم بصفة كاهن ومطران واخيراً كسفير فرنسة في العجم

القسم الاول

شبابه وفضيلته

مبادئ حياته

﴿اهلهُ ومولدهُ﴾ وُلد فرنسوا بيكه في مدينة ليون يوم عيد النصح في ١٢ نيسان من السنة ١٦٢٦ واصطبغ باء العماد في كنيسة القديس منصور واسم ابيه غودفروا بيكه وامهُ حنَّة دي مونيري وكلاهما من أُسرة عريقة في الشرف والقِدَم قد جمعا بين التقى والغنى الكثير. وكان والده صاحب مصرف في ليون حائزاً بصدقه واستقامتهِ على ثقة جميع المحالّ التجاريَّة في اوربَّة. لكن الله باحكام عنايتهِ الغامضة جرَّدهُ من كل ثروتهِ ولم يبقَ له سوى مال زوجته يستعين به لقيام عيلتهِ المؤلفة من ستة اولاد ثلاث اناث وثلاثة ذكور ثالثهم فرنسوا بيكه صاحب الترجمة

اما شقيقا فرنسوا فبعد ان انجزا دروسهما زهدا في العالم وحدَتْ بهما نعمة الله الى الدخول في رهبانية الكرمليين الحفاة. وترهبت اثنتان من شقائقهِ الواحدة في دير القديس برنردوس والاخرى في دير الزيارة في ليون. وقد ابدى فرنسوا منذ حداثتهِ عما يكون لهُ من مستقبل باهر. وكانت مخافة الله تنمو فيهِ بنموّه في العمر فما بلغ السادسة عشرة حتى ازداد ميلهُ الى الصلاح وظهرت عبادته وتقواه بملازمة كنيسة

بنات مريم التي كانت قريبة من بيته . فكان يحضر اكثر الاجتماعات الروحية والقداس الالهي الذي كثيراً ما كان يسبق فيخدمه ويُمنَى بتنظيف آنية الكنيسة . وكان ذا مزاج دموي قوي يميل به الى اللهو واللاذ فقمع ميله هذا الردي وصانهُ الله من معاثر الشبيبة التي كان معرَّضاً لها في ليون مسقط رأسه وذلك خصوصاً بجياده عن عشرة الشبان النازعين الى الملاهي واللذات الباطلة

﴿أسفاره﴾ انجز فرنسوا دروسهُ الثانويَّة والفلسفية ممتازاً بين اقرانه بما طُبع عليه من الذكاء وبانكبابه على الدرس بحرص وثبات مع ملازمته لكل فرائض دينه الذي كان يقدّمهُ على كلّ مهامّ حياته . واذ لم يكن لابيه من سَنَد يستند اليه في شؤون عيلته سواه قطعهُ عن الدرس وصرف همّتهُ الى الاشغال البيتيَّة وتدبير المنزل ثمَّ اراد ان يمرّنهُ على الاسفار للمتاجرة مع البلاد الاجنبيَّة . فادَّت به اسفاره الى زيارة رومية وكنيسة لوريتو الشهيرة ومرّ في عودته على اهمّ مدن ايطالية فكان وصولهُ الى وطنه بعد اشهر في اواخر سنة ١٦٥٠ . وكان لم يرغب في جميع اسفاره الّا ما هو مفيد وشريف كما شهد بذلك رفقتهُ وسطّره هو في مذكراته . وكان في ليون موضوع إعجاب مواطنيه إذ تحلّى به من الصفات ممتازاً بتقواه وطهارة حياته موجّهاً رغبتهُ الى عمل الخير والقيام بسائر واجباته واتمامها . ولمّا دنا وقت اختياره حالةً من حالات الدنيا لجأ في الصلاة الى إلهام الله تعالى كالوف عادته معتمداً على احد المرشدين الاتقياء الفطنين . فلم يرضَ في الحالة التي يختارها في دنياه الّا بما يعود على خلاص نفسه غير ملتفت الى خير زمني او شرف او رغد عيش او منفعة شخصية

وكثيراً ما كان يوجّه نظرهُ الى الترهُّب على مثال اخويه واختَيه اذ كان يرى الدير حمى التقوى ومينا الخلاص يتحصَّنُ به فينجو من شرور العالم ويأمن على خلاص نفسه . لكنَّ الله تعالى الذي كانت مقاصده في ذلك الشاب فوق ما كان يتصوَّر اراد ان يضع على المنارة سراجاً لا يرغب الّا في الاختفاء تحت المكيال . فتحوَّل فرنسوا عن فكرته الاولى إمَّا لداعي صحته ومزاجه النحيف الذي لا يستطيع ان يتحمَّل العيش القشف في الرهبانيَّة . امَّا حبّاً واحتراماً لوالديه الطاعنين اللذين كان لهما ابنهما هذا عضدًا وحيدًا . فعقد العزم حينئذٍ على البقاء معهما ليساعدهما في جميع حاجاتهما الى ان يرشده الله بنوع صريح الى الحالة التي يختارها لهُ والطريق التي يتوخّاها

﴿ تعيينهُ لقنصليَّة حلب ﴾ وفي تلك الاثناء عرضت بعض ظروف عائلية اضطرَّتهُ الى ان يسافر الى نورمندية وانكلترة وفي عودتهِ اقام مدة في باريس عرف فيهِ اهلها روحاً طيبةً تقرن حميَّة الشاب بحكمة الشيوخ. وكان لذلك موضوع اعتبار الكثيرين من اهل الفضل والنبل منهم السيدة الدوقة داغويليون (M^me d'Aiguil-Ion) التي اشتهرت في فرنسة بعظم تقواها وثقوبة ذهنها ومحبَّتها لصنع الخير ولتأييد الاعمال الرسولية في داخل الدولة وفي الخارج . فحدث أن فرغت قنصليَّة حلب سنة ١٦٥٢ بوفاة قنصلها انج بونين (Ange Bonin) المولود في مرسيلية وكانت تلك الوظيفة مطمحاً لابصار الكثيرين لمنافعها الجمَّة ولأهمية مركزها لعلاقتها ليس فقط بالتجار الافرنسيين وغيرهم في الشرق بل بعمَّال السلطان والباب العالي فضلاً عن انها كانت محطَّ رحال التجار الآتين من الشرق الاقصى ومنها الطريق في البرّ الى بلاد العجم وغيرها من الدول الشرقية فكان لا بُدَّ لقنصلها ان يكون محنَّكاً في الادارة قديراً على احراز الثقة والنفوذ لدى اولياء الامور وجديراً بان يدافع بحزم عن حقوق التجار وينصفهم بعدلهِ واستقامتهِ وينتصر لهم عند الولاة العثمانيين وعمَّال السلطان الذين كانوا يظلمونهم . ومن واجبات القنصل القيم في البلاد غير مسيحية ان يدافع عن النصارى عموماً وكذلك حصوصاً لئلَّا يسومهم المتولون خسفاً

فتوجَّهت الابصار الى فرنسوا بيكه وانتُخب لهذا المنصب الخطير وصدَّق انتخابه البابُ العالي لانه رغم كونهِ في السادسة والعشرين من عمره كان متحلياً بجميع الصفات اللازمة لهذا المقام من وداعة تسترقُّ القلوب وفطنة نادرة وذكاء غريب ومعرفة واسعة في الادارة . ذلك فضلاً عن خبرتهِ وحسن سيرتهِ وكلاهما يضمن نجاحهُ في مهمَّتهِ ويجعلهُ اقوى عضد للدين بمثالهِ الصالح . وقد سبق انَّ ميلهُ كان الى خدمة الله في الحالة الاكليريكية او الدعوة الرهبانية اكثر منهُ الى الانشغال في مهامّ العالم فلم يقبل ذلك المنصب الَّا اتماماً لرضى والدَيه اللذين كانا يعلقان عليهِ الامل بقيام عيلتهما وتلبيةً لرغبة السيدة الدوقة داغويليون محاميتهِ التي كانت تؤمل انه يؤدي في وظيفتهِ خدماً جليلة للكنيسة وللوطن ويربح بذلك ثروة وافرة

وبعد ان عقد العزم على استلام مهمتهِ رجع الى ليون لوداع والديهِ وما عتَّم ان سافر الى مرسيلية حيث كانت السفينة بانتظارهِ فأبحر في شهر ايلول من سنة ١٦٥٢.

وبعد سفر ميمون دام شهرين رست به السفينة في اواخر تشرين الثاني في ميناء الاسكندرونة فاستقباله فيها نائبا قنصليَّة فرنسة وانكلترَّة وتوفَّرا على الاحتفاء به والقيام بضيافته حتى ذهاب القافلة الى حلب التي وصلها بعد سفر ثلاثة ايام

﴿دخولهُ حلب﴾ وكانت حلب في ذلك الحين عاصمة سورية الشاليَّة ومركزًا للباشا حاكم الولاية ولقناصل الدول القائمين بحماية رعاياهم وحريَّة تجارتهم. وكان سكَّانها من مسلمين ونصارى لا يقلُّون عن ثلاثمائة الف نفس وكانت شهرة المسيو بيكه قد بلغت مسامع الحلبيين وعرفوا ما فيه من حنكة ودراية ونزاهة واستقامة فنزل في قلوبهم من قبل ان ينزل بين اظهُرهم ولذلك كانوا ينتظرون قدومهُ بذاهب الصبر وقد احتفوا به احتفاء عظيماً . فذهبت قناصل الدول في مقدمة الشعب الى استقباله على مدخل المدينة واتوا به الى دار القنصلية بابهى مجالي الاكرام والاعتبار. بحيث كان يخيَّل الى الناظر على قول شاهد عياني ان ذلك الاستقبال الحافل كان اولى بقنصل جميع الطوائف منه بقنصل دولة فرنسة وحدها. فكان كل الشعب يرغب به وقد أثلجت صدورهم وبسَّتْ ثغورهم بمرآه كأنهم يشعرون سلفاً بما سيلقون من الغبطة والهناء مدة قنصليَّته فكان يقابلهم بالشكر على تلك المظاهرات الحبيَّة وقد اعتقد جميعهم ان الله ارسلهُ ليشفهم مما كانوا يقاسون من المظالم

وبعد ان قام بالواجب نحو ولاة الامور في البلد وقبل التحيَّات من الاكليروس والمرسلين والتجار اراد ان يقف على احوال التجارة كما تقتضيه وظيفته. فما لبث ان استبطن امرها وسبَّر غورها بثاقب عقلهِ وبُعد نظره الذي اغناه عن البحث والتنقيب. فوجد ان احوال التجارة مختلَّة لسببين هما عدم ثقة التجار وظلم الباشاوات. فعزم ان يصلح كلَّ اختلال رآهُ. وبلوغاً للنجاح في عمله شرع يمنع جور الباشا واستبداده معتقدًا انهُ اذا كسر شوكة وكبرياء ذلك الظالم سهَّل كل عقبة في سبيل وظيفتهِ واراح الرعية من كل جور وظلم

﴿فرنسوا بيكه وباشا حلب﴾ كان باشا حلب وقتئذٍ يسمى بشيرًا وكان رجلًا جائرًا عاتياً طمَّاعاً بخيلًا اعتاد النهب والسيطرة لاجل جمع الدراهم. على ان رعايا الاتراك كثيرًا ما كانت تئن تحت نير جور الولاة وكان الباب العالي واقفاً على تلك المظالم وسوء الادارة لكنهُ كان يغضُّ الطرف عنها تاركاً الولاة يمتصُّون كالعلقة دماء

رعاياهم حتى اذا ملأوا اكياسهم أمر السلطان بقتلهم فيستنزف لخزينته ما اكتنزوه ظلماً كأنهُ بعزلهم او قتلهم يدافع عن الشعب المظلوم. فباشا حلب كان بما فيهِ من شحّ ووقاحة على شاكلة الحكّام سلفائهِ. غير انه اضطرَّ ان يغيّر خطّتهُ مع التجّار الافرنسيين اللائذين بحماية قنصلهم فرنسوا بيكه الذي مخافة ان يسبق الباشا ويشي بهِ الى الباب العالي لمقاومتهِ طفيهُ وبغيهُ اسرع واستدرك الامر فشكاه هو واستعان في اثبات شكواهُ بالمسيو دي لاهاي (De la Haye) سفير الملك لويس الرابع عشر في الاستانة وهو من خيرة الافرنسيين. وعرض بالتفصيل كل ما كان يأتيهِ الباشا من المظالم وما يفرضهُ من الضرائب على التجار مما يعرقل التجارة ويضرّ بخزينة الدولة

فلمّا اطّلع الوزراء على تلك الشكوى لم يسعهم الّا ان يلوموا اشدَّ اللوم ملك ذلك الباشا لما الحقهُ من الضرر بحرّية التجارة وامروهُ ان يرعوي عن سوء ادارتهِ وان يقف على خاطر قنصل فرنسة وان يتفاهم واياه بعد ذلك. فاكتسب المسيو بيكه بغيرته وجرأتهِ هذه ثقة الشعب واحترام التجار وكان غير المسيحيين يتعجّبون من استقامتهِ وعدلهِ. فانه جعل وظيفة القنصلية نوعاً من القضاء بحيث يكون للقنصل الولاية على التجار ويحكم في دعاويهم التجارية حكماً جزماً. وكان يُفرغ احكامهُ في قالب اللطف والوداعة حتى مع القضاة العاتين فيكفّهم عن سوء تصرّفهم ويردّهم الى الصواب. فاصبحت قنصليته كمحكمة كنانية وهو فيها اشبه براعٍ واسقف منه بقاضٍ وقنصل. قال عنه بعض الثقات: انهُ كان يقوم بهاتين الوظيفتين بوداعة ملائكية وكان الجمهور يشكر الله الذي اعطاهم مثل هذا المحامي المحبوب. وكانت العادة والشريعة تخوّلهُ حقوقاً كثيرة لكنهُ لزم في استيفائها حدّ الاعتدال فنال إعجاب التجار بنزاهتهِ وتجرّدهِ فقدّموا فيهِ عريضة شكر بتاريخ سنة ١٦٥٦ يثنون فيها على عدالتهِ وإبائهِ ذاكرين تخفيضهُ الضريبة على اموال التجّار فجعلها نصف غرش بعد ان كانت اثنين بالمئة وانَّ التجارة بعهدهِ راجت رواجاً عظيماً لمنعهِ كلّ جور من قبل الباشا وعمّال الدولة. فذهبت له شهرة في انحاء البلاد لم ينلها قنصل سواه. وكان كل ما يأتيهِ في قنصليتهِ من ربحٍ وفائدة يحوّلهُ الى الخير العام وتعزيز الامور الدينيّة دون ان يفكّر بنفعهِ الخاصّ

﴿دفاعهُ عن حقوق القناصل﴾ وبينما كان التجار يتنعّمون بتلك الامتيازات العادلة عاد الخلاف فتجدّد بين القنصل والباشا . وكان القنصل في موقفهِ هذه المرّة ايضاً ملازماً جانب العزم والحزم . وكان سبب الخلاف ان الفرنسيا وتركيا تشاجرا وبعد ان تقاذفا الشتائم وتهدّد احدهما الآخر توصّلا الى الضرب وانجلى الحراك عن موت التركي . ولما لم يتمكن اهلُ القتيل من الإثنار لان القاتل لجأ الى القنصلية شكوا امرهم الى الباشا فارسل هذا الى القنصل يطلب تسليم القريم آملاً من مروءتهِ ان يجيبه بالايجاب ، لكنّ القنصل اجاب بأنهُ لا حقّ لغيرهِ على رعايا ملك فرنسة وانهُ هو الذي يحتكم في هذا الامر وانه لا يستطيع ان يلبّي طلبهُ ما لم يجحف بحقوق وظيفتهِ ، فغضب الباشا من هذا الجواب وارسل على الفور جنداً ليقبضوا على القنصل . فلم يجزع بيكه من هذه المعاملة البائنة بل ظلّ رابط الجأش وهمّ بتسليح قومهِ الافرنسيين بحيث اصبحوا قادرين ان يقفوا وقفة الدفاع بازاء اعدائهم المتآمرين عليهم . فلما رأهم الجند على تلك الأهبة رجعوا أدراجهم ورأى الحاكم عجزهُ عن فضّ ذلك المشكل بالقوة فدعا القنصل الى داره ليتباحثا في الامر ويشرفاهُ بالطريقة الحبيّة . فابى بيكه تلبية الدعوة حذراً من حدوث ما لا تُحمد عقباهُ اذا لحقهُ إهانة او تعدّ ما . ولم يتحوّل الّا بعد الحاح الافرنسيين عليهِ واتخاذه جميع التحوّطات خشية الغدر بهِ . فقابلهُ الباشا مبدياً لهُ استياءه من رفضهِ طلبهُ وعدم تسليمهِ القاتل فقال : « اني لم اعمل الّا بحسب الاصول والاتفاقات الدولية » . وأراه اوراقاً تنصّ على ذلك فكان مقتنعاً لكنهُ طلب ان يُشنق الجاني فأبى القنصل لانه كان ثبت لهُ ان الافرنسي لم يكن مستحقّ الموت اذ كان مدافعاً عن نفسهِ . فنصح لهُ واخرجهُ خفيةً من حلب مخافة ان يُحدث وجودهُ في المدينة بعض المشاكل

ووقع حادث آخر على هذه الشاكلة : قبض الاتراك على راهب كبوشي وجلدوهُ يقدّس بعد شروق الشمس ولم يكن ذلك جائزاً للمرسلين في غير معبد القنصلية . فأودعوهُ السجن هو والاخ الخادم واذ دوى القنصل بالامر ذهب خالاً هو وجماعة من الافرنسيين الى السراي وطلب من الباشا الإفراج عن الرجلين فلم يكترث الوالي لكلامهِ فخاطبهُ القنصل عندئذٍ بلهجةٍ خرينة خرّة امتعض منها الباشا فامر بان يقتلوا ذينك السجينين . لكنّ القنصل عرف ان ذلك الامر انما هو وسيلة منهُ

لابتزاز المال فاسترضاه بانٍ قدَّم لهُ من الدراهم ما خلَّص بهِ السجينَين

﴿ لكبة بشير باشا ﴾ وحدث يوماً ان اللصوص المغاربة هجموا على نائب القنصلية الفرنساوي فردَّهم بيكه هو ومئتا رجل افرنجي واراح المدينة من شرِّهم فآل ذلك الى خجل الوالي الذي تغاضى عن هذا الامر الجوهري . وكان الباب العالي واقفاً على هذا التغاضي ومستاءً منهُ فاراد ان ينتال الباشا كما فعل بغيره فرفع هذا راية العصيان وشقَّ عصا الطاعة هو وغيره كثيرون من الآغاوات الذين كانوا يخشون ذات المعاقبة اي القتل والقاموا في حلب وضواحيها كما في معقل حصين وكان عند الثائرين مئة الف مقاتل عسكروا في الصحراء ليجبروا المدينة

فكانت تلك فرصة لا انسب منها لبشير باشا للتمرُّد على مولاه وليتنقم ايضاً من قنصل فرنسة بيكه الذي كان بفضلهِ وجميل فعالهِ كقذًى في عينهِ . لكن الباشا لم يُقدم على ذلك لغاية في النفس فاراد ان يتقرب من بيكه وان يجدِّد علاقاتهِ الودية معه اكثر مما كانت مع الباب العالي وقد اضطرَّه الى هذه المعاملة ما كان يراه للقنصل من الجرأة وما لهُ من النفوذ والمنزلة عند المسيحيين وعند الافرنسيين الذين كانوا يديرون حركة المدينة بتجارتهم ومعاملهم . فاستشارهُ الباشا في الامر فلم يجدِ القنصل تمرُّده على سيده بل اشار عليهِ بآرائهِ الرشيدة ان يخلص الخدمة للسلطان فذلك اوفق لهُ واسلم للعاقبة

فرضخ الباشا لهذا الرأي السديد الذي حقن الدماء ووقى البلاد من الويلات والنكبات . ولذلك ازداد بيكه اعتباراً وقيمةً في عين الشعب وعرف الباشا نفسه لهذا الاخلاص والمعروف وزاد ولاءً نحوهُ . ودلالةً على حبهِ لهُ وولائه نصبهُ قاضياً ليحكم في جميع دعاوى المسيحيين السياسية والجزائية . فكان يُجري القضاء بكل نزاهة وعدالة حتى ان غير المسيحيين كانوا يرفعون اليهِ دعاويهم ليحكم فيها لثقتهم بعدالتهِ وفضلهِ وكان يهتمُّ لهم ولمساويهم بالمسيحيين

ولم يكن يذبي دغم مهامّ القنصلية والقضاء فرضاً لازماً لهُ بصفتهِ مسيحي اي اعمال البرّ والحسنات . وكان مدخولهُ من وظيفته يساعدهُ على ذلك ولاسيما بعد ان نمت التجارة بفضلهِ وحسن ادارتهِ وكثرت ارباحها . فازدادت مداخيل وظيفته الشريفة كثيراً لكنهُ كان يعدُّ كل ما يأتيهِ من المال كنزاً وضعهُ الله بين يديهِ ليصبح بهِ

السماء ويستجلب نعم الله ورضوانهُ عليه . فكان يتصدق على الفقراء في كل يوم وما كانت صدقته تفوت فقيراً في حلب وكان يقتصد في نفقاتهِ ويتخلى حتى عن ضروريَّاته احياناً لكي يحسن الى الفقراء وقد فتح بيتهُ لهم منزلاً من دون تمييز بلادٍ او مذهب كأني به ما اتى حلب ونُصِّب فيها قنصلاً الَّا ليشتغل ويعمل للمساكين الذين وقف نفسه على مساعدتهم وتوزيع الحسنات عليهم . وكانت صدقاته شاملة تتناول حتَّى القرى المجاورة للمدينة

وكان لرغبتهِ في المثل الصالح وعملاً بتعليم الانجيل لم يأنف بما فيه من روح الوداعة والاتضاع المسيحي ان يُدخل وهو في وسط مدينة غير مسيحية عادةً غَسْل الارجل يوم خميس الاسرار لاثني عشر فقيراً كان بعد الغسل يبسط لهم مائدة انيقة ويخدمهم بذاتهِ ثم يصرفهم موقَرين بالحسنات وذلك تكريماً ليسوع المسيح في اخوتهِ واعضائهِ الفقراء . وكانت تلك الحفلة المؤثرة التي يقيمها كل سنة بكل نظام وترتيب وخشوع تستنزف العبرات من جميع الحاضرين

وإصلاحهُ لا سيما المسيحيين [illegible] وكان ينظر بعين دامية الى فقر الكنيسة الشرقيَّة الروحي والى حالة المسيحيين الانفصالين عن الكنيسة الرومانيَّة الذين لم يكن عندهم من الدين سوى التشور . والكاثوليك انفسهم ما عدا الموارنة منهم كان قد دبَّ الفساد اليهم وأضرَّ باخلاقهم فأصبح الدين في تلك الارجاء أشبه بقَبَسٍ ينطفئ اذا هبَّت عليهِ نسمة محنة خفيفة . فكان يبذل كل المساعي الجدِّية لانعاش روح الدين في الشعب للتفصلين فدعا يوماً بطُّاركتهم واساقفتهم الى وليمة انيقة مع بعض اعيانهم وخطب مودَّتهم بملاطفته اياهم فتركوا الحريَّة للمرسلين ليدخلوا بيوت الشعب ويعلموهم تعليم الايمان الحق . وكان القنصل من جهتهِ يقربهم بموالاتهِ اياهم واعطائهم مثالاً صالحاً ويساعدهم في دعاويهم لدى الباشا

وفي تلك الغضون حدث ما وقف عائقاً في نجاح الاعمال الرسولية فكاد يعيد الخلاف بين القنصل والباشا بسبب مدير الجمرك المدعو اسحق اليهودي المذهب المبهور بالاصفر الرنَّان فانهُ إشباعاً لمطامعهِ اراد ان يتقاضى رسوماً فاحشة من التجار الافرنسيين . فعارضهُ القنصل وطلب من الباشا ان يساعده على قمع جشع ذلك اليهودي فلم يسمع لهُ لانهُ كان مرتشياً من اسحق المشار اليهِ الذي تقاضى الرسم كما ارادهُ . فصبر القنصل

على الضيم خشية المنازعة وشكى الامر الى الباب العالي وكان احد الوزراء قد اوغر صدر السلطان على بشير الظالم والثائر . فارسل مرتضى باشا لمقاومته . فأتى هذا حلب بجيش جرّار وما سمع بشير باشا بقدومه حتى خاف وخرج من المدينة الى الضواحي المدعوة جُدَيدة

اما القنصل فامر ان تُحفظ النساء والبنات المسيحيّات في أحياء محصّنة صوناً لحياتهنّ وشرفهنّ . فدخل القائد المدينة ظافرًا واستلم مقاليد امورها وانقاد لهُ سكانها وكان على أتمّ ولاء مع المسيو بيكه لان السلطان مولاهُ كان امره بذلك وبان ينتقم من اسحاق اليهودي الجائر وان يخضع ويذلّ ذلك الباشا الثائر . امّا موالاتهُ للقنصل فكانت عظيمة حتى انهُ اراد ان يتقدّمهُ في زيارته لهُ لكن القنصل لم يرضَ بل قام بواجب زيارة الباشا الجديد في السراي هو واعيان الفرنساويين . وكان الباشا مُعجباً بانسه ولطفه ومكبرًا قدره وحكمتهُ . وبتصافاة الاثنين سادت الراحة والطمأنينة في المدينة اذ انتصر الحاكم الجديد على الباشا الثائر واعوانهِ وفتك بهم وضمّ جميع الاهلين اليهِ فقدموا له تمام الطاعة والخضوع

وقد ازدادت الصداقة تمكناً بين القنصل والباشا بحيث تمكّنت الالفة وبطلت الكلفة فلما زار الباشا المسيو بيكه زيارة صديق لصديقهِ عانقهُ وقال لهُ : « عافاك الله يا ابا الدقن الشقراء انك ماهر في ادارتك الامور فاني شاكر لك جدًّا » ودعاه أبا الدقن الشقراء لان بيكه تبعاً لعادة البلاد وولائها كان مُرخياً لحيتهُ الشقراء التي كان يعجب بها الاتراك . وكان الباشا يستشيره في اجراآته وكانا يتزاوران ويتهاديان الالطاف والثياب الثمينة وقد خلع الباشا على القنصل بُردة من حرير زرقاء لا يلبسها في حلب غير المسلمين وقدم لهُ ايضاً جوادًا مطهّماً . وبتمكين الصداقة بين القنصل والحاكم استحكم الولاء ايضاً وحسن التفاهم بين الافرنسيين والمسلمين وزال كل نفور وتباعُد وكانت تضمُّ الطائفتين المجتمعات العمومية والروايات التمثيلية التي كان يتنافس القنصل والباشا في توفير الوسائل لتمثيلها توثيقاً لروابط الاخاء والمودة . وقد حضر الباشا رواية افرنسية سُرّ جدًّا بتمثيلها فأعدى الممثلين الفي ريال مجيدي دلالة الرضاء ومن مجاملاتهِ الخارقة العادة انه اراد ان يكرم صديقه بيكه فعزمهُ الى حفلة شائقة كان دعا اليها بعض اوانس وجهاء المدينة فكان بيكه يجاملهنّ وهو في غضاضة

شبابهِ متصوناً عفيفاً لا يمس زنبقة طهارتهِ اذًى. وقدَّم لـه الباشا اثنتين من اجملهنَّ فقال لهُ القنصل: «اني شاكر لك جدًّا هذه المنَّة التي لا استطيع قبولها لاني تقيَّدت بنذر الزهد بالعالم واعتناق الدعوة الاكليريكية» فعجب الباشا من رفضه هذا ومن تلك الفضيلة السامية في من هو غضُّ الشباب وابدى لهُ عن زيادة اعتباره اياه وتعلقه بهِ

وقد بلغت ثقة الباشا وصداقته للقنصل الى حدّ ان اقامه موزعاً العطايا واعتمده في جميع اشغالهِ والقى بيده مقاليد اموره. وكان جميع التجَّار يهرعون اليهِ في جميع حاجاتهم. فاقامته حينئذٍ هولندة قنصلاً لهـا في حلب. وقد شهد شاهـد عياني غير افرنسي بما كان للاوربيين من الهناء والراحة بفضل نفوذ المسيو بيكه وبغيرة هـذا البطل على الديانة والكنيسة. وهذا الشاهد هو الاب ڤنسان الكرملي الحافي الـذي كتب فيهِ كتاباً ضـافياً خلاصته إطراء اعمال ذلك القنصل الفـاضل وغيرتهُ على المرسلين والتجار والرعية برجه الاجمال ذاكرًا اجراآتهِ النزيهة العادلة وما كان لـهُ من المكانة والمحبة في القلوب. وقال كاتب آخر من ذات الرهبـانية: «ان هـذا الرجل المسيحي الشريف الاصل والكثير الغنى مالًا وفضلًا قد غنم محبة الجميع حتى اصبح مالكًا القلوب لا يُجاريه في الكرم والسخاء احد». وقد ابان المسيو بيكه في تلك الظروف المؤلمة اي الثورة التي مرَّ ذكرها ان المحبة المسيحيَّة تعامل دون فرق اليهودي واليوناني القريب والغريب بالرفق مساويةً بين الجميع ضمن حدود العدالة. وسرماه كان تعزيز الدين وتقدُّمهُ وقد خصص لذلك سني قنصليَّتهِ الست الاخيرة متخذًا جميع الوسائل ليثبت الكاثوليك في الايمان ويردَّ المنفصلين الى الكنيسة الرومانيَّة بما كان يصنعه من الخير مع الجميع وما يؤديه لهم من الخدم عند الباشا

﴿ محبَّتهُ للموارنة ﴾ واوَّل مَن شملهم عطفهُ ومودَّتهُ هم الموارنة من بقايا المسيحيين الاوَّلين فـانَّهُ كان يحبُّهم محبَّة الاب لابنـهِ ويغمرهم بنعماهُ ويحميهم بحمايتهِ ونفوذهِ ليس فقط في مدينة حلب بل في النواحي الخارجيَّة ايضاً. وكان لهم بواسطة اصطابهِ في الخارج ملاكاً حارساً وقد اوصى اباه بن كان منهم في ليون وطنهِ لاجل جمع الحسنات من فرنسة للشرق وقد اجاب الاب رغبة ابنهِ وفتح بيتهُ منزلًا لهم ولغيرهم من الشرقيين. وقد اظهر محبتهُ للموارنة بالاخص في سنة ١٦٥٦ على اثر دنث حلّ بكنيستهم. وهو ان بشير باشا السابق ذكرهُ جار على هذه الطائفة فوضع

على كنيستهم ضريبة باهظة وبما انَّ فقرهم لم يكن كافياً لاشباع مطامع ذلك اللئيم ضبط آنية الكنيسة كلّها وما فيها من زينة ريثما يدفعون الضريبة فبات اولئك المساكين في حزن عظيم على عدم تمكنهم من إقامة طقوسهم الروحية بنوع لائق . فكان المسيو بيكه يشاطرهم احزانهم وينكسر قلبه لحالتهم وما كان يستطيع ان يساعدهم لأنَّ الاحوال المشؤومة . وذلك قبل ان يستتبّ السلام في المدينة بفضل الباشا الجديد فهبَّ لرأب هذا الصدع الذي كان يؤلمه . ومن كتاب له مؤرخ في ٤ اذار سنة ١٦٥٦ الى الكردينال رئيس مجمع نشر الايمان يستدل انه قد عرض للمجمع حالة شقاء اولئك الموارنة الاعزّاء . واستطلعهُ ان يساعدهم في حاجتهم هذه الماسّة فاجاب المجمع طلبه لما كان يسمع ويعرف من غيرته وتفانيه ووهب ثلاثمائة ريال مساعدةً لهذا العمل الخيري . ولمّا لم يكن هذا المبلغ كافياً ليفي ما عليهم من ضريبة ليستفكّ آنية كنيستهم اضاف اليه هو مئتي ريال واستردَّ الآنية من يد المغتصب وسعى لدى الباب العالي ووزراء السلطان الى ان يصون الموارنة وكنيستهم من كل حَيْف في المستقبل ونجح مسعاه فشكروا لهُ كل الشكر وحفظوا لهُ هذا الجميل وكانوا يعتبرونهُ حامياً عنهم ضدّ ظالميهم وكان يشملهم بعطف الاب الشفيق

﴿القنصل بيكه واليعاقبة﴾ ثم وجه مساعيهُ الى ارتداد اليعاقبة اي السريان المنتسبين الى يعقوب البرادعي الراهب السوري الاصل تلميذ ساويروس الانطاكي زعيم الاوطاخيين الذي كان افسد بهرطقة اوطاخي في الجيل السادس انحاء ما بين النهرين وارمينية . وكان بيكه يؤمل ارتداد هؤلاء الضالين لما كان يراه فيهم من سلامة الاداب وحسن الاستعداد ويرجو ان يردَّ بواسطتهم السريان المنتشرين فيما بين النهرين اي في اورفا وديار بكر وماردين والموصل وبغداد وغيرها من المدن والقرى وفي سورية كدمشق والقدس وطرابلس وغيرها من المحالّ المتعلقة ببطريركية حلب . وكان اليعاقبة وهم في حلب خمسة الاف نفس يتبعون تعليم ديوسقوروس القائل ان ليس في يسوع المسيح الّا طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وكانوا ينكرون المطهر ويقولون بأنْ لا ثواب للاخيار ولا عقاب للاشرار الّا بعد يوم الدينونة وما كانوا يستعملون سرّ الاعتراف صحيحاً ويستشفعون في قداسهم ديوسقورس وغيره من الهراطقة الذين رذلهم المجمع الخلقيدوني . وكانت القداسة عندهم بتلاوة الصلوات الكثيرة وممارسة

الاصوام والتقشفات الصارمة

فلم يدّخر بيكه وسعاً في استمالة اولئك التائهين في بيداء الضلال مستعملاً جميع الوسائل الزمنيّة والروحيّة اذ يكرمهم ببعض الالطاف ويجمعهم ايام الآحاد والاعياد ويشرح لهم حقيقة التعليم المسيحي الذي تُعلمهُ الكنيسة الكاثوليكيّة ويبيّن لهم ضلال البدعة التي هم فيها. فكانوا يتلقّون كلامه بتمام الارتياح والاصغاء ويؤثر فيهم اكثر من كلام احد المرسلين. وتوصلاً الى غايتهِ الشريفة في تعليم اولئك المساكين وإرجاعهم الى حضن امهم الكنيسة الرومانيّة اختار بعض فتيانهم من ذوي القابليّة للعلم والتقوى الصحيحة وارسلهم الى رومية حتى اذا استقوا هناك من منهل العلم والفضيلة اتوا بلادهم ونشروا فيما بين مواطنيهم انوار علمهم ورائحة يسوع المسيح الطيّبة وكان هو يقوم بنفقات سفرهم وتعليمهم اذ لم يكن يهمه بذل المال لنشر الايمان

وقد حاول ان يستميل بطريركهم المدعو شمعون ليزيل كل مانع يمنعهُ من ضمّهم الى الكرسي الرسولي. وتوصلاً الى ذلك كان يدعوه ذات المرار الى تناول الطعام عنده ويهدي اليه من الطرائف حتّه وعطفه. وقد وفى عنه ما كان عليه من الدين ولاجل ذلك كان البطريرك يودُّ التقرُّب منه ويرغب في مصادقته معتبراً اياها شرفاً.

وعلى اثر وفاة رئيس اساقفة السريان اغتنم بيكه الفرصة وطلب من البطريرك ان يقلّده جميلاً عظيماً وذلك بأن يقيم على الكرسي الفارغ مَن فيه الكفاءة فاجابه البطريرك وقد ادرك مراده أنْ اعتلّ على خاطرك. فسُرَّ بهذا الجواب وجمع الاباء المرسلين وخابرهم في الامر وافهمهم ان العناية دبّرت ذلك لان على هذه الفرصة المناسبة يتعلّق عليها ارتداد جميع السريان وسألهم ان يهدوهُ الى من يقوم بهذه المهمة الخطيرة. فانذهل المرسلون من غيرتهِ الغريبة ووجهوا انظارهم الى كاهن سرياني حلبي الاصل يدعى اندراوس قد اعتنق المذهب الكاثوليكي منذ سنين عديدة المرسلين اليسوعيين وبهمة الاب برونو الكرملي الحافي المرسل الشهير الذي مات برائحة القداسة سنة ١٦٦١

(لها بقيّة)

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

١١ كَعْب بن جُعَيْل التغلبيّ

﴿اسمهُ ونسبُهُ﴾ قال ابن سلَّام في طبقات الشعراء (ص١٢٩): «هو كَعْب بن جُعَيْل (ويقال: ابن جُعَل) بن قُمَيْر التغلبيّ». وفصَّل الطبري في تاريخهِ (١: ٧٤٩) نسبهُ فقال: «كَعْب بن جُعَيل بن عُجرة بن قُمَير بن ثَعْلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حُبَيب ابن عمرو بن غَنم بن تغلب بن وائل». وجاء مثل ذلك في خزانة الادب لعبد القادر البغدادي (١: ٤٥٨) الَّا انهُ قدَّم قُمَيْرًا على عُجرة. ثمَّ قال: «ولكعب هذا اخٌ يقال لهُ عُمَيْر بن جُعَل بالتصغير» وقد دعاهُ ابن قتيبة في الشعر والشعراء «عُمَيرَة بن جُعَيل». وهو غير عُمَيرة بن جُعَيل الذي ورد ذكرهُ في المفضليات (ed. Lyall ص٥٢١—٥١٨) وقد روينا شعرهُ في شعراء النصرانيَّة (ص١٩٥) فهذا قد جاء هناك نسبهُ انهُ «عُمَيرة ابن جُعَيل بن عمرو بن مالك بن الحرث بن حُبَيب بن عمرو بن غَنم بن تغلب بن وائل» ومثلهُ في خزانة الادب (١: ٤٥٩) ثمَّ قال: «هو شاعر جاهليّ». وكانت امُّ كعب وعميرة تُدعى ليلى وهي من تغلب ايضاً

﴿زمانهُ﴾ عاش كَعْب بن جُعَيل في ايَّام الخلفاء الراشدين وبلغ عهد الدولة الاموية ذلك ما يستدلّ اليهِ من شعرهِ واخبارهِ كما سترى. الَّا انهُ كان مُسِنًّا في ايَّام معاوية وابنهِ يزيد ولعلَّهُ بلغ الى زمن عبد الملك عرفهُ الاخطل شيخاً في ذلك الوقت

﴿دينهُ﴾ لا نشكّ في نصرانيَّة كعب بن جُعيل وهو من تغلب القبيلة النصرانيَّة وشاعرها كواطنيهِ القطاميّ والاخطل. وكان مكرَّماً في قومهِ النصارى المتمسكين في دينهم. وانما يقال عنهُ انهُ شاعر اسلاميّ كما قيل عن القطاميّ بمعنى كونهِ لم ينبغ في

عهد الجاهلية بل اشتهر في زمن الاسلام. وليس في اخباره وشعره ما يُشعر بتغييره لدينه سوى كلمة سيأتي ذكرها رواها الرواة على صُوَر مختلفة لا يُبنى عليها برهان

﴿اخباره﴾ لا يُعرف من اخبار كعب إلّا ما رواهُ عنهُ الكتبة استطراداً.

روى صاحب الاغاني (٧ : ١٧٠) عن يعقوب بن السكيت انَّ كعب بن جُعَيل كان شاعر تغلب وكان لا يأتي منهم قوماً الّا اكرموهُ وضربوا لهُ قُبَّةً حتى انهُ كان تُعَدُّ لهُ حبال بين وتَدَيْن فتُمَدُّ لهُ غنماً. فاتى في مالك بن جُشم ففعلوا ذلك بهِ. فجاء الاخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها فسبَّهُ عُتبة بن الرِّعِل (ويروى: الوغل) وردَّ الغنم الى مواضعها فعاد الاخطل وأخرجها وكعب ينظر اليهِ فقال: «انَّ غلامكم هذا لأَخطل» والاخطل السفيه فقال الاخطل فيهِ:

سُمِّيتَ كعباً بشرِّ العِظام وكان ابوك يُسمَّى الجُعَيل
وانَّ مكانَكَ من وائل مكانُ القُرادِ من استِ الجَمَل

فقال كعب: قد كنتُ اقول لا يقهرني الّا رجلٌ لهُ ذِكرٌ ونباهٌ ولقد اعددتُ هذين البيتين لأن أهجى بهما منذ كذا وكذا فغلب عليها هذا الغلام[1]

وروى القحذمي خبر الاخطل على غير صورة قال (الاغاني): «وقع بين ابني جُعَيل (كعب وعميرة) وامّهما دَيْهٌ من كلام فادخلوا الاخطل بينهم فقال الاخطل:

لَعَمرُكَ انني وابني جُعَيل وأُمهما لإِسْتارٌ لَئيمُ[2]

فقال ابن جُعيل: يا غلام انَّ هذا لَخَطَلٌ من رأيك ولولا انَّ امّي سَمَّتهُ أَمسكتُ لتركتُ أُمك يجدو بها الركبان. فسُمّي الاخطل بذلك وكان اسم امّهما وامّ الاخطل ليلى»:

وزاد ابن الكلبي عن قوم من تغلب في قصة كعب بن جُعَيل والاخطل ما حرفهُ (الاغاني): «وكان الاخطل يومئذٍ يُقرزِم (والقرزمة الابتداء بقول الشعر) فقال لهُ ابوهُ: أيقرزمتك تريد ان تُقاوم ابن جُعَيل وضربهُ (قال) وجاء ابن جُعَيل على تمثيلة ذلك فقال: من صاحب الكلام؟ فقال ابوه: لا تحفل بهِ فانهُ غلام اخطل ...

---

(١) روى البيهقي هذا الخبر في كتابهِ المحاسن والمساوئ (ص ٤٦٤) وختمهُ بقولهِ عن لسان كعب «فما رفعتُ رأسي حتى الساعة»

(٢) لإستار فارسيَّة معرَّب جهار اي اربعة. (اطلب ديوان الاخطل ص ٢٩٧)

فانصرف كعب وليج الهجاء بينهما »

وروى في الاغاني ايضاً (٤ : ١٣٠—١٣٢) انّ النابغة الجعديّ كان شاعراً متقدّماً وكان مُغلّباً ما هاجى قطّ الّا غلب . هاجى اوسَ بن مَغراء وليلى الاخيليّة وكعبَ بن جُعيل فغلبوهُ جميعاً . وممّا رواهُ من ردود كعب عليهِ قولهُ (من البسيط) :

اني لَقاضٍ قضاءً سوفَ يتبعُهُ ... مَنْ أمَّ قَصْدًا ولم يَعْدِل الى أوَدِ
فصلًا من القَوْل تأتمُّ القُضاةُ بهِ ... ولا أجورُ ولا ابغي على أحدِ
« سادت » بنو عامرٍ سَعْدًا وشاعِرَها ... كما « تَسود » بنو عبسٍ بني أسَدِ

وقد اتّصل كعب بن جُعَيل في ايّام معاوية بابنهِ يزيد . اخبر ابن سلّام في طبقات الشعراء (ص ١٠٨) وقد سبق في روايتهِ هذه ابا الفرج الاصفهاني وغيرَهُ من الرواة وهو قد توفي بالبصرة سنة ٢٣١ هـ (٨٤٦ م) قال : كان عبد الرحمان بن حسّان ويزيد ابن معاوية يتناولان فاستفلاهُ ابنُ حسّان فقال يزيد لكعب بن جُعَيل : أجبْهُ عنهُ وأهجُهُ . فقال : والله ما تلتقي شفتايَ بهجاء الانصار ولكن ادلُّك على الشاعر الغابر الماهر فتًى منّا يقال لهُ الغوث نصراني (يريد الاخطل) فهجاهم بابياتٍ شهيرة لا حاجة الى ذكرها

وهذا الخبر عن كعب قد رواهُ في الاغاني ١٤ : ١٢٢) على وجه آخر قال انّ يزيد بلغهُ ان عبد الرحمان شبَّب برملة اختهِ بنت امير المؤمنين معاوية فقال لكعب : اهجُ الانصار . فقال : أفرَقُ من امير المؤمنين ولكن ادلُّك على الشاعر الكافر الماهر الاخطل . الخ

ورواهُ المبرّد في الكامل (ص ١٠١) بما يُشعر بإسلام كعب فروى عنهُ انهُ قال ليَزيد : « أأهجو الانصار أزادَي انت الى الكفر بعد الاسلام (ويروى : بعد الشرك) ولكن ادلُّك على غلامٍ من الحيّ نصرانيّ كأنّ لسانهُ لسانُ ثور يعني الاخطل الخ

فترى من اضطراب هذه الروايات انهُ لا يجوز ان نقرّر الإسلام لكعب دون بيّنةٍ واضحة ودليل قاطع

ومن اخبار كعب بن جُعَل انهُ حارب مع قومهِ في يوم صفّين وكان موالياً لبني اميّة

كالاخطل وسائر عرب الشام في محاربتهم لعليّ . ولكعب في اليوم السابق لتلك الوقيعة رجزٌ رواهُ الدينوري في الاخبار الطوال (ص ١٩٢) :

أصبحتِ الأُمّةُ في امرٍ عَجَبْ والمُلْك مجموعٌ غدًا لمن غلَبْ
اقولُ قولًا صادقًا غيرَ كَذِبْ انّ غدًا تهلكُ اعلامُ العرَبْ
غدًا نُلاقي ربّنا فنَحْتَسِبْ

وقال ايضاً يصف الفريقَيْن اهلَ العراق مع علي واهل الشام مع معاوية وهذه الابيات كتبها معاوية وارسلها الى عليّ بن ابي طالب لمّا خيَّرهُ برسولهِ بين البَيْعة او الحرب (الكامل للمبرّد ١٨٤ والدينوري ١٧٠ ووقعة صفّين) (من المتقارب) :

أرى الشأمَ تكرَهُ مُلْكَ العراقِ (١ واهلُ العراقِ لهم كارهونا
وكلٌّ لصاحبهِ مُبْغِضٌ يَرى كلَّ ما كان من ذاك دِينا
اذا ما رَمَوْنا رَمَيناهُمُ ودِنّاهُمُ مثلَ ما يَتْرِضونا (٢
وقالوا عليٌّ إمامٌ لنا فقُلْنا رَضِينا ابنَ هِندٍ رَضِينا (٣
وقالوا نَرى ان تَدينوا لهُ فقلنا لهم لا نَرى ان نَدينا (٤
ومن دونِ ذلك خَرْطُ القَتادِ وضربٌ وطعنٌ يُقِرُّ العيونا (٥
وكلٌّ يُسَرُّ بما عندهُ يَرَوا غثَّ ما في يديهِ سَمينا
وما في عليٍّ لِمُسْتَعْتِبٍ مقالٌ سوى ضَمّهِ المحدثينا (٦

---

١) ويروى : اهل العراقِ
٢) ويروى في الكامل : يُتْرِضونا
٣) هند امُّ معاوية
٤) ويروى البيت :
وقلنا نرى ان تدينوا لنا فقالوا ألا لا نرى ان نَدينا
٥) ويروى : يفضّ الشؤونا
٦) وروى ابن عبدربّه : لمستحدثٍ . . سوى عصمة المحدثينا

وايثاره اليومَ أهلَ الذنوب ورَفْعِ القصاصِ عن القاتلينا (١
اذا سِيل عنهُ زوَى وَجْهَهُ (٢ وعمَّى الجَوابَ عن السائلينا
فليس براض ولا ساخطٍ ولا في النُّهاةِ ولا الآمرينا
ولا هو سَاء ولا سَرَّهُ ولا بُدَّ من بعضِ ذا ان يكُونا (٣

وجاء في الكامل للمبرّد (ص١٨٧) وفي الاخبار الطوال للدينوري (ص١٧٠—١٨١) انَّ عليًّا لما قرأ هذه الابيات قال للنجاشيّ: أجِبْ. فقال (من المتقارب):

دَعَنْ مُعَاوِيَ ما لن يكونا فقد حَقَّقَ اللهُ ما تَحْذرونا
اتاكم عليٌّ بأهل العراقِ وأهلِ الحجَاز فما تصنعونا
على كلِّ جَرْداء خَيْفانَةٍ وأشْعَثَ هِندٍ تَسُرُّ العيونا
عليها فوارسُ تَحْبِسُهم كأُسْدِ العَرِينَ حَمَيْنَ العَرينا
يرَوْن الطِّعانَ خِلالَ العَجَاجِ وضَرْبَ القَوانِسِ في النَّقْع دِينا
هُمُ هزَموا الجَمْعَ جَمْعَ الزُّبيرِ وطَلْحَةَ والمَشْرَ النَّاكثينا
وقالوا يميناً على حَلْفَةٍ لَتُهْذي الى الشامِ حرباً زَبُونا
تُشيبُ النواصيَ قَبْلَ المَشيبِ وتُلقي الحوامِلُ منها الجَنينا
فان يكرَهُ القومُ مُلكَ العراقِ فقد مَاً رَضِينا الذي تكرهونا (٤

١) وفيه: وايثاره لاهالي الذنوب. قال ابن عبد ربّه في العقد (٣: ٣٧١) اخذ كعب هذا المعنى من قول حسّان بن ثابت لعليّ: انك تقول ما قتلتُ عثمان ولكن خذلتُهُ ولم آمرْ به ولكن لم أنْهَ عنهُ فالخاذل شريك القاتل والساكت شريك الناطق

٢) ويروى: حدا شِبهَهُ. وسيل مخفّفة سُئِلَ ٣) ويروى: من بعد ذا. روى ابن عبد ربه:

ولا هو نـاءٍ ولا شرَّهُ ولا آمن بعض ذا ان يكونا

٤) ويروى: وان تكرهوا الملك ملك العراق فقد رضي القومُ مـا تكرهونـا

فقولوا لكَعْبِ أخي وائلٍ ومَنْ جعَلَ الغَثَّ يوماً سَمينا
جعلتُم عليّاً واشياعَهُ نظيرَ ابنَ هندٍ أما تَستحونا

وقد روى البلاذري في كتاب الاشراف(١(ص٢١٢)البيتين الآتيين الكعب في مدح عبد الملك بن مروان (من الوافر):

أميرُ المؤمنين هُدًى ونُورٌ كما جَلّى دُجى الظُّلَم النهارُ
قريعُ بني أُميَّةَ من قُريشٍ همُ السِّرُّ المهذَّبُ والنُّضارُ

وقد سبق في اخبار القطاميّ (ص٢٧) انّ هذين البيتين من جملة قصيدة منسوبة الى القطاميّ رويناهما هنا لعظم شأن راويهما

واتّصل كَعْب بن جُعَل بسعيد بن العاص بن ابي أُحَيْحَة بن سعيد بن العاص وكان امير الكوفة لعثمان وكان فصيحاً خطيباً قُتل في غزوه لطبرستان سنة ٣٠ه (٦٥١م) واخبر في الاغاني انّ كعباً نزل عليه في المدينة. وقد امتدحه بشعره وذكر الطبريّ في تاريخه (١ : ٢٨٣٨) قولهُ (من الطويل):

فنِعْمَ الفتى اذ جالَ جيلانُ دونهُ واذ هبَطوا من دَسْتَبَى ثمّ أبهرا (٢
تعلَّمْ سعيدَ الخَيْرِ أنّ مطيَّتي اذا هبَطَتْ أشفقتُ من أن تُعَفَّرا
كأنّك يوم الشِّعْبِ ليثُ خفيَّةٍ تجرَّدَ (٣من ليثِ العَرين وأصحرا

وروى الجُمَحيّ في طبقاته (ص ٧٥–٧٦) انّ الفرزدق لمّا هرب من زياد بن ابيه في ايّام معاوية الى المدينة فاستجار سعيد بن العاص فاجارهُ فمدحهُ الفرزدق وكان الحطيئة وكعب حاضرين. فقال الحطيئة: هذا والله الشعر لا ما تُعلّلُ به منذ اليوم

١) اطلب Anonyme arabische Chronik, *ed. Ahlwardt*
٢) جيلان حيّ من عبد القيس . ودَسْتَبَى كورة بين الريّ وهمذان في العجم . وأبهر مدينة في نواحي اصبهان
٣) يوم الشِّعْب من ايّام العرب ذكره الفرزدق . ويروى : تجرّى

أيها الامير فقال: كعب بن جُعَيْل فضِّلهُ على نفسك ولا تفضلهُ على غيرك. فقال: بلى افضّلهُ على نفسي وعلى غيره ادركتَ مَن قبلك وسبقتَ من بَعْدك. وروى الطبري في تاريخهِ (٢ : ١٠٧) هذا الخبر على وجه آخر فقال انَّ كعباً لمَّا سمع شعر الفرزدق قال: هذه والله الرؤيا التي رأيتُ البارحة. قال سعيد: وما رأيت؟ قال رأيت كأني امشي في سكَّة من سِكك المدينة. فاذا انا بابن قِتْرَة في جُحْر (اي حُفرة) فكأنهُ اراد ان يتناولني فاتَّقيتُهُ (قال) فقام الحطيئة فشتَّ ما بين رِجْلين حتى تجاوز اليَّ (١ فقال: قُلْ ما شئتَ فقد ادركتَ من مضى ولا يُدركك من بقي. وقال لسعيد: هذا والله الشعر لا يعلّل بهِ منذ اليوم (٢

﴿شعر كعب وطبقتهُ﴾ قد اخذ الضياع ديوان شعر كعب بن جُعَيْل. امَّا طبقتهُ فهي على قول ابن سلَّام (ص ١٢٩) الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين يريد انهُ من الذين لم يشتهروا في الجاهليَّة وقالوا الشعر بعد الاسلام ونظمهُ في جملة الشعراء عمرو بن احمر الباهليّ وسُحَيم بن وَثيل الرياحيّ ثمَّ اليربوعي وأوس بن مَغْراء القُرَيْعي ثم السعديّ. ثمَّ قال: «وكعب بن جُعَيْل شاعر مُفلق قديم في اوَّل الاسلام». وهو يُدعى في كامل المبرّد (ص ١٨٧) شاعر اهل الشام. وقد ذكر لهُ القدماء ابياتاً متفرّقة نروي بعضها عثرنا عليهِ منها كقولهِ يمدح قوماً (شرح المقامات للشريشي ٢ : ٨٦) (من الكامل):

لا يَنكُثون الارضَ عند سؤالهم لِتَطَلُّبِ العِلّاتِ بالعيدانِ
بل يبسطون وُجوهَهم فترى لهم عند السؤالِ احسنَ الالوانِ

ولهُ في الرثاء قولهُ في عبيد الله بن عُمر بن الخطّاب لمَّا قُتل في صفّين (سنة ٣٧ هـ ٦٥٧ م) وقد رواهُ الطبري (١ : ٣٣١٥) وياقوت (٣ : ٤٠٣) وكتاب وقعة صفّين (٢١٣ و٢٦٦) (من الطويل):

ألَا انَّما تبكي العيونُ لفارسٍ بِصِفّين أَجْلَت خَيلُهُ وهو واقِفُ

١) وفي الاغاني (٢١ : ١٦٦) ما بين رِجليهِ حتَّى تجاوزهما
٢) وفي الاغاني (٢١ : ١٦٧) : لا ما كُنَّا نُعلَّل بهِ انفسنا منذ اليوم

يُبَدَّلُ من أسمائه اسيافَ وائلٍ وكان فتًى (١ لو أخطأتْهُ المتالفُ
تركنَ عُبَيْدَ الله بالقاع مُسلَباً تَمُجُّ دماً منهُ العروقُ النوازفُ (٢
يَنُوءُ وتعلوهُ شآبيبُ من دم كما لاحَ في جيب القميص الكتائفُ (٣
دعاهنَّ فاستَسمعْنَ من ابنَ صوتُهُ وأقبلنَ شتّى والعيونُ ذوارفُ
يُحَلِّئنَ عنهُ زُرَّ دِرْعٍ حَصِينَةٍ ويُبْدِينَ عنهُ بعدهنَّ مَعارفُ
وقد صبرَتْ حول ابن عمِّ محمَّدٍ لدى الموتِ (٤ شهباءُ المَباركِ شارفُ
فما برحوا حتى رأى اللهُ صبرَهم حتى أُتيحَتْ بالأكُفِّ المصاحفُ
بمَرْجٍ ترى الراياتِ فيهِ كأنَّها اذا اجتَنَحَتْ للطَّعنِ طيرٌ عواكفُ
جزى اللهُ قَتْلانا بعينَ خيرَ ما جزاهُ عبادًا غادرَتْها المواقفُ (٥
ألا انَّ شرَّ الناسِ في الناسِ كلِّهم بنو أسدٍ انِّي لِما قلتُ عارفُ
وحالتْ تميمٌ بعدَها وربابُها وخالفَتِ الجَعْداءَ فيمن يخالفُ
معاويَ لا تنهَضْ بغير وثيقةٍ فانك بعدَ اليوم بالذلِّ آسفُ

وقال في خزانة الادب (١ : ٤٥٨) : ولكعب هذا اخ يقال لهُ عُمَير بن جُعَيْل وهو شاعرٌ ايضاً وهو القائل يهجو قومَهُ (من الطويل) :

كما اللهُ حَيٌّ تَغلبَ ابنةَ وائلٍ مِنَ اللُّؤْمِ اطفارًا بعَلْيا تُصولُها

---

١) ويروى : تبدّل . . وكان فتى ٢) ويروى : سلباً . ومسنداً يمجُّ نجيعاً . وفي الدينوري : تمجُّ دمَ الحرقِ العروقُ الذوارفُ . ويروى : تمجُّ دماً منهُ . وتمجُّ دماءُ والعروق نوازف
٣) ويروى : يبوءُ ويعلوهُ سآيبُ . . . ويروى : وتغشاهُ . . . اللفائف
٤) ويروى : ابن عمّ نبيّنا من الموت
٥) وروى ياقوت : بصفّين ما جزا عبادًا لهُ اذ غودروا في المزاحف (كذا)

قال ثمّ ندم فقال (من الطويل) :

نَدِمتُ على شَتْمِي المشيرةَ بعدما مضَتْ وٱستَبَتْ للرُّواة مذاهِبُهْ
فاصبحتُ لا أَستطيعُ ردًّا لِمَا مضى كما لايَرُدُّ الدَّرَّ في الضرع حالِبُهْ(١

امّا الجمحيّ فانّهُ يروي هذه الابيات في طبقات الشعراء (ص ١٢٩) لكعب وقد اضاف اليها قولهُ (من الطويل) :

مُعاويَ أَنصِفْ تغلبَ ابنَةَ وائلٍ من الناس او دَعْها وجيّاً تُضارِبُهْ
قليلٌ على بابِ الامير لُبأتي اذا رابَني بابُ الامير وحاجِبُهْ
ولمّا تَدارَوا في تُراثِ محمّدٍ سمَتْ بابنِ هندٍ في قُريشٍ مَضارِبُهْ

(قلنا) انّ في هذه الابيات نظرًا . فعلى قول صاحب خزانة الادب (١ : ٤٥٨) انّ البيت الذي قيل في هجاء تغلب «كما الله حيّ تغلب» البيت هو لمُتيرة الذي كعب ابن جُعَيل المترجم هنا . ثمّ ذكر (ص ٤٥٩) [illegible] نسبهُ وقال عنهُ انهُ «شاعر جاهليّ» على اننا رأينا هذا البيت عينهُ في المفضّليّات (ص ٥١٨) في مقدّمة خمسة ابيات ونسبتهُ هناك ليست لاخي كعب بن جُعَيل بل لمُتيرة بن جُعَل بن عمرو الشاعر الجاهليّ . وقد اثبتنا نحن هذه الابيات في شعراء النصرانيّة (ص ١٩٥) لذلك الشاعر الجاهليّ مع ابيات أُخرى نونيّة رواها لهُ صاحب المفضّليّات (ص ٥٢٠—٥٢٢) وذكر منها في خزانة الادب ثلاثة ابيات . فترى ما وقع من الاضطراب في الروايات لسبب اتّفاق الاسماء.

ورُوي ايضاً لكعب في الحماسة البصريّة في باب الرثاء (١ : ٢١٠) (من الطويل) :

برابية الثَّرثار (٢ قبرٌ تُرابهُ يَضُمُّ الغمامُ الجودَ والشمسَ والبدرا
رأتْ تَغلبُ العلياءَ عند مُصابهِ عيونَ الأَعادي نحوأَعينها خُزرا

١) ويروى : واصبحتُ لا استطيعُ ردًّا لما مضى كمالا . . .
٢) الثرثار وادٍ عظيم في الجزيرة لبني تغلب بسبّ ماؤهُ في دجلة

ووَدَّتْ نُجومُ الجود يومَ حَمَلْنهُ على النَّعش لو كانت بأجمعها قبرا
مُنافسةً منها عليهِ وضَنَّةً على التربِ ان تعفو المآثر والفخرا
وما بَخَلَتْ عيناي بالدَّمع بعدهُ على هالكٍ إلّا ذكرتُ لها عمرا(١

وروى لهُ ايضاً يهجو المُغيرة بن شعبة (٢ : ١٨٢) (٢ (من الطويل) :

اذا راح في قُوهيَّةٍ(٣ فتأزّرا فقلتُ ألا يَسْتَنُّ في لبنِ مَحْضِ
وتَحْسَبُهُ إن قامَ للمشي قاعداً لقلّة مِقياسَيهِ في الطول والعَرْضِ
فأقسمتُ لو حُزَّت من استكِ بضعةٌ لما انكسرت من قرب بعضك من بعضِ
فيا خلقةَ الشيطان أقصِرْ فانما رأيتُكَ أهلاً للعداوةِ والبُغضِ

وفي معجم البلدان لياقوت (٢ : ٣٧٨) وفي تاريخ الطبري (١ : ٧٤٩) بيتٌ فرد لكعب التغلبي يذكر غزوة الملك تبّع الحميري للعراق قال (من الرمل) :

وغزانا تُبَّعٌ من حِميرٍ نزلَ الحيرةَ في أهلِ عَدَنْ

والبيت تصفّح في الطبري فرواهُ مكسوراً

وغزا تُبَّعٌ في حمير حتى نزل الحيرة من ارض عدَنْ

وقد يروى لهُ ايضاً في شواهد سيبويه (من الرمل) :

صَعْدَةٌ نابتةٌ في حائرٍ أينما الريحُ تُمِيلها تَمِلْ

قال الصَّعْدة القناة المستوية. والحائر المكان المطمئنّ. شبّه امرأةً في تأوُّدها بهذه القناة. ويلي هذا البيت اربعة ابيات غزليّة (خزانة الادب ١ : ٤٥٧) نضرب عنها الصفح

(لهُ صلة)

١) نظنُّ انهُ يريد عمرًا بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق قتلهُ عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م)

٢) كان المغيرة والياً على الكوفة وفيها توفي بالطاعون سنة ٥٠ هـ (٦٧٠م)

٣) القوهيَّة الثياب البيض المنسوجة في قُوهستان كورة من العجم

الصهيونية وغاياتها

لحضرة الدكتور فرنتس كسافيه

(المشرق) سبق لنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٧٦٨-٧٧٨) مقالٌ مطوّل عن الصهيونيّة ماضيها وحاضرها ومستقبلها . وها قد اتحفنا احد اصحابنا في فلسطين الدكتور فرنتس كسافيه بمقالة جديدة تتناول احوال الصهيونيّة خصوصاً بعد الحرب الكونيّة ومصادقة جمعيّة الامم على مواعيد بلفور لتجعل فلسطين وطناً قوميّاً لليهود . فنشرها شاكرين لحضرته وهو عالم حقّ العلم بامور الصهيونيّة ومختلط باهلها ومطّلع على اخصّ كتاباتها . قال حضرتهُ :

مبادئ الصهيونيّة

كان مقصود الصهيونيّة في اوائلها ان تجمع اليهود المتفرّقين تحت كل كوكب في بلاد خاصّة بها . فما لبث زعماؤها أن أحسّوا بما يحول دون ادراك هذه الغاية ومن ثمّ اعتبروا بأن يُنشئوا للصهيونيين كلّ ما يمكن من المصانع والمستعمرات ولاسيما في فلسطين والبلاد المجاورة لها . فحصل بذلك منازعات بين اليهود المستوحنين البلاد واليهود الصهيونيين تغلّب عليها الاميركيّون بما دفعوهُ من الاموال الطائلة لمساعدة الصهيونيّين فانشأوا لهم قبل الحرب في فلسطين المعاهد الواسعة . منها مدرسة في اورشليم لتهذيب المعلّمين ومدرسة تجاريّة . واقاموا لهم في حيفا مدرسةً فنيّة اوقفت الحرب إنجاز مبانيها وهي اليوم تامّة الاهبة . وأسّسوا في يافا المكتب المعروف بمكتب تيودور هرتسل وجهّزوا لهم مطابع تنشر الجرائد العبرانيّة وكتباً أخرى

الصهيونيّة بعد الحرب

كان عدد الصهيونيّين قبل الحرب قليلاً بالنسبة الى اليهود الوطنيّين ولم يزيدوا على ٣٠٠٠٠ في عامّة انحاء فلسطين . فما تمّ هذا العدد ان نما في زمن الحرب . ومن بعده نموّاً عظيماً حتى انهُ ينيف اليوم على المليون (واليهود في العمور يتراوحون بين ١٣ الى ١٥ مليوناً) . وقد نال زعماؤهم للانكليز كالدكتور فيسمان وسبركولوف ان يصدّق

بَلفور بتقريرهِ الصادر في٢ت٢سنة ١٩١٧ رغبتهم في ان يجعلوا فلسطين موطناً قومياً لذويهم وأعلن رسمياً باسماء زعمائهم . وقد دفعت انكلترَّة دولتَي فرنسة وايطالية الى قبول هذا القرار فأثبتَتاه مع كونهِ مجحفاً بحقوقها الراهنة على الاراضي المقدَّسة . فما لبث ان تحقَّق فعلاً بعد انتداب انكلترَّة على فلسطين

طار الصهيونيُّون فرحاً لهذه القرارات وأمَّاوا وضع يدهم قريباً على انحاء البلاد لكنهم وجدوا في طريقهم سكَّانها العرب من مسلمين ونصارى يبلغ عدد الاوَّلين ٥٨٣،٠٠٠ نفساً والآخرين ٨٥،٠٠٠ وكلُّهم يد واحدة للدفاع عن حقوقهم بازاء الدخلاء من اليهود الذين زعمت انكلترَّة رسمياً انَّ عددهم كان في السنة ١٩٢٢ ثمانين الفاً . فتحفَّزوا لردّ غارات المهاجرين فحصلت بين الفريقين مناوشات شتَّى في القدس الشريف وفي يافا وفي المستعمرات الاسرائيليَّة سالت فيها الدماء . وخصوصاً في شهر أيار من السنة ١٩٢١ في مستعمرة « فتح تقوى » حيث تداخل الجند البريطاني في القتال فنفذوا بين المقاتلين بالسيَّارات المصفَّحة واطلقوا عليهم القذائف فاسفر النزاع عن ٩٥ قتيلاً منهم ٤٨ عربياً و ٤٧ يهودياً وعن ٢١٩ جريحاً مع ضرب الصفح عمَّن اختلسهم اصحابهم فدفنوهم سرّاً . وكانت نتيجة القتال توقيف الهاجرة مدَّة الَّا انَّ قرار بلفور بقي ثابتاً لكنَّ انكلترَّة حصرت نوعاً تحديدها للفظة « الوطن القوميّ » وافهمت بذلك اصحابها الصهيونيين انَّهم تجاوزوا الحدود . فقطن الصهيونيُّون للامر واخذوا حِذرهم من العرب وحاولوا التقرُّب اليهم . لكنَّ ذلك لم يثنِ عزمهم عن ما توخَّوهُ من تحويل فلسطين الى دولة يهوديَّة

مساعي الصهيونيين في اقتناء الاملاك

يفرغ الصهيونيُّون اليوم كنانة جهدهم لاقتناء ما امكنهم من الاملاك في انحاء فلسطين ليوفروا بذلك عدد اليهود المهاجرين اليها . وهم يحقّقون رغبتهم فعلاً بما يسلفهم من المال المصرفُ الوطني الاسرائيليّ والمصرف اليهودي البنائيّ . واليهود يعتبرون ارض فلسطين كملكهم الخاصّ اغتصبها منهم الاجانب فيجب استفكاكها من يدهم فلذلك يدعونها في لغتهم بارض الفدى التي يلزم تزعُها من مالكيها . فالمصرف الوطنيّ الاسرائيليّ يدفع اليهود الى استملاك الاراضي بطريقة خفيَّة وهي

على قولهم «وقفٌ لاسرائيل ابديّ لا يجوز تبديلهُ» ثمّ يتبعهُ المصرف البنائيّ فيحمل اليهود في كلّ اصقاع على المهاجرة الى فلسطين ويسهّل لهم السفر على نفقتهِ ثم يساعدهم على الاستمار والاستيطان في مواطن اجدادهم بعد نزعها من ايدي الغرباء وتهويدها. فتلك هي الغاية التي يتوخّاها الصهيونيّون بتنمية الاستمارات اليهوديّة وتقرير اصحابها نهائيًا في فلسطين

واعلم انّ في فلسطين حاضرًا ٨٢ مستعمرة يهوديّة منها ٣٥ قد انشأها المصرف البنائيّ في هذه السنين الثلث الاخيرة ففي السنة ١٩٢٣ انفق لهذه الغاية ٨٠،٠٠٠ ليرة انكليزيّة وفي السنة الماضية بلغت هذه النفقات ١١٥،٠٠٠ ومن ثم ترى انّ المصرف البنائي صلةٌ للمصرف الوطني يتعاضدان ويتكاتفان. فهذا الاخير يجدُّ في استملاك الارض بما يتبرّع بهِ من المال. وذاك يسعى بتعمير الابنية وبُكناها وانّما يدفع لذلك ما يعشّره من مال اليهود. فبواسطتهِ تُنشأ المستعمرات وتُجهّز بكل لوازم المعاش وتُبنى المدارس وتُفتتح المعاهد المختلفة وتُعبّد الطُّرق الخ. وهذا المال يجمعهُ زعماء الصهيونيّة في كلّ انحاء المعمور. وبينما انا ادوّن هذه الاخبار علمتُ بان الصهيونيّ اوسيشكين (Ussischkin) يطوف في انحاء اوربة ليجمع هذا المال تاركًا لزعيمهم ڤيزمان (Weizmann) ان يقوم بهذه الخدمة في اميركا. وخلاصة خطبهِ انهُ يجب على كلّ اسرائيليّ ان يدفع قسطهُ من المال لفادات فلسطين ولتعمير ارض الميعاد. بل يتحتّم عليهِ ان يحتال لدى غيرهِ بجمع المال المذكور. وقد ذكر ربّي ابراهام اسحاق كوهن حاخام ارض اسرائيل عريضةً في رأس السنة الاسرائيليّة في غرّة تشرين الاوّل يحضُّ كلّ اليهوديين المتفرّقين في العالم باسم الجمعيّة الوطنيّة ويدعوهم الى مساعدة المصرف الوطني ليتمّ بأقرب وقت افتداء الاراضي المقدّسة من ايدي الغرباء. (מידי בוראכער)

تصريحات الصهيونيين في ياد غاياتهم

ودونك ما كتبهُ مؤخّرًا زعيم الصهيونيّين أوسيشكين في احدى مجلّاتهم عن افتداء اليهود للاراضي المقدّسة (١ قال :

١) اطلب مجلّتهم Jüd. Presszentrale, Zürich, *n° 307, 28 Août, 1924*

« انّ فلسطين حاضرًا تسير نموًّا سريعًا من جهة السياسة ومن جهة الاقتصاد فمن الواجب اللازب ان شئنا ضمان مستقبلنا ان نسعى في امتلاك اراضيها . لأنّ الاوطان للأكّي ارضها وسكّان قراها المتأصلين في تربتها دون سكّان مدنها . وعلى هذه الصورة ترى بلاد تشيكوسلوفاكية وليتوانية وليتونية قد صارت لاهلها التشيكوسلوفاك واللتوانيين والليوتيين اصحاب قراها وارضها مع انّ معظم اهل مُدُنها من العنصر الالماني والروسي الخ . فان لم نمتلك نحن ايضًا اراضي فلسطين ونستعمرها بانشاء القرى فيها فلا أمل من ان نجعل فلسطين وطنًا لنا وستبقى عربيّة . فيتحتّم اذن علينا قبل كلّ شيء ان ننشئ القرية اليهوديّة . وهذه مهمّة جليلة وخطيرة تستدعي الضحايا الماليّة الباهظة ثم تلزم اليهود ان يعودوا الى حياتهم القديمة من فلاحة واستثمار بعد ان فقدوها منذ تشتّتوا بين الامم وفقدوا وطنهم الاصلي . فلندع للافراد من اليهود ان ينشئوا لهم «المدينة اليهوديّة» اما نحن الصهيونيين فلنبادر الى تعمير « القرية اليهوديّة» . نعم انّ لنا في فلسطين ثمانين قرية واغلّ هذا بدء العمل . فمن الواجب الحصول على الاملاك حاضرًا ولا نؤجّل عملنا . فليس صعبًا على اليهود عاجلًا او آجلًا ان يتكرّوا التجارة والصناعة والتعليم ويتظلّموا بمئات المهاجرين فلا بأس ان ابطأوا في هذه الاعمال المنوطة بارادتهم . امّا امتلاك الاراضي فليس هو في وسعنا وانّما هو منوط بالبائع . اترى نستطيع اليوم ان نقتني املاكًا واسعة في سويسرة وهولندة وبلجيكة ولو حصلنا على مليارات من المال؟ . فهكذا يقال ايضًا عن فلسطين أن تأخّرنا عن ابتياع اراضيها . فاليوم الامر سهلٌ والفرصة مناسبة وسيضيع غدًا من المحال . ولاسيما انّنا نرى الترب قد انتبه فكرهم الى صالحهم واخذوا يشترون بوجداتهم ومن ثمّ فحسب كلّ تأخير في امتلاك الاراضي الفلسطينيّة كجرم لا يُغتفر

وقد صرّح الكاتب نفسهُ عمّا اراد بقوله « ان الفرصة اليوم مناسبة » قال :

« مساحة الارض في فلسطين تبلغ عشرين مليونًا من الدونم (الدونم ٩٦٤ مترًا مربّعًا و ٦٥ سنتيمترًا) فللحكومة منها ثلثون في المائة و ٣٥ املاك للفلّاحين ومثلها للملّاكين الاغنياء . وكان املنا ان تمنحنا الحكومة اراضي واسعة فخاب ذلك الامل . فلا يبقى الّا الاقطاعيّة الاغنياء الذين لا يأبون بيع املاكهم من مشتريها ان وجدوا ربحًا في بيعها . وغايتنا خاصّة امتلاك سهل اسدرلون (مرج عامر) وسواحل البحر والبلاد الممتدّة بين يافا والقدس »

ثمّ اردف قائلًا :

« ولا بُدّ من السرعة لانّنا ان تأخّرنا ولم نستحضر حالًا مبالغ طائلة تفوتنا الفرصة الموافقة ولن نعود نحصل على الاراضي المرغوبة فيصيبنا في فلسطين ما يصيبنا في بقيّة البلاد اكّنا نبقى منفردين في احيائنا (Ghetto) . وليس الغاية من سعي الى انحاء المعمور الّا لأنقذ بني جلدتي الصهيونيين وغيرهم من هذا الخطر الجسيم . والمصرف الوطني اليهودي يمثّل شعب اسرائيل لمساعدة افتداء الوطن . ولم يبتدئ بجدّ الشغل الّا من ثلث سنين لانهُ في القسمة عشر عامًا السابقة لم يستخلص الّا ٢٠,٠٠٠ دونم وكان همّهُ الوحيد الاستثمار . امّا في السنين الثلث الاخيرة فانّهُ افتدى ٩٠,٠٠٠

دونم لوضع اساس مشروع الوطن الاسرائيلي في سهول يزرعيل (بني عامر) . ونرادنا اليوم ان نجمع نصف مليون ليرة انكليزية لنشتري مئة الف دونم من الاراضي التي ينبغي استغلالها . وأمّلي أن أحصل منها في اوربّة على مئتي الف ليرة ومثلها في الولايات المتحدة . فيبقى مئة الف سأجمعها من كندا والارجنتين وافريقية الشماليّة والجنوبيّة ومن فلسطين وسوريّة . وقد باشرنا بتحقيق نيّتنا في اوائل شهر آب من هذه السنة ١٩٢٤ اذ اقتديناه ٤٠٠٠ دونم من سهول يزرعيل . . ونتفوز ان شاء الله بالبقيّة المنشودة ونشتري مئة الف دونم »

فنرى من هذا الكلام ان غاية اليهود القصوى وضع يدهم على فلسطين فاذا ملكوا اراضيها اصبحوا ملوكها تما ينشئونهُ من القرى والمزارع فتخرج من ايدي اصحابها العرب

ومن ثمّ يلوح ان مستقبل فلسطين هو اليوم في ايدي العرب لاسيما الافندية من كبار الملاكين الذين يطمع اليهود في ارزاقهم

العوائق في سبيل الصهيونية

ولكن ان حسبنا قيمة ما في يد هؤلاء الملاكين بالقيمة ٣٠ مليوناً من الليرات الانكليزيّة رقيمة ما تمسكهُ الحكومة مادياً لهذا الثمن بل بالقاً الى ٦٠ مليوناً فيلزم الصهيونيّين لوضع يدهم على املاك فلسطين ان يجمعوا مليارًا ونصف من الفرنكات الذهبيّة . وليست هذه القيمة سهلة الوجود . فمن المرتاب ان يدرك الصهيونيّون غايتهم

وزد على ذلك انَّ المهاجرين من اليهود الى فلسطين مع كثرتهم وتسهيلات الحكومة في استقبالهم لم يبلغ عددهم ما كان يؤمّلهُ زعماء الصهيونيّة . فانّهم كانوا ينتظرون للعشر السنين بعد انتداب انكلترّة على فلسطين مئتي الف مهاجر وفي الاحصاء الرسميّ انّهم منذ سبع سنين اربعون الفاً فقط ويدخل في هذا العدد خمسة آلاف منهم كانوا في فلسطين قبل الحرب فيكون عدد الواردين ٣٥،٠٠٠ ومن هؤلاء ١٨،٠٠٠ فقط يشتغلون بالاستثمار . والباقون (١٧،٠٠٠) حلّوا في تلّ ابيب (Awiw) وفتحوا لهم دكاكين صغيرة وقهاوي يبيعون فيها « الغازوزة » ويضطرّون الناس الى رفع ثمن ايجار البيوت ويعرقلون معاش السكّان السابقين ويلجئونهم الى مغادرة البلاد

ثمَّ ليس المستعمرون كلهم من ذوي الجدارة فانَّما اغلبهم تجَّار وكتبة وادباء اخذوا على نفسهم الشغل بالاستعمار ليس طبعاً بل تطبُّعاً تنشيطاً لفكر الصهيونيين . . وهيهات ان يثبتوا على ذلك زمناً طويلاً وان ثبتوا فمَنْ يضمن لنا ثبات اولادهم من بعدهم . ولذلك ترى زعماء الصهيونيَّة ممتعضين من الامر يشكون همَّة المهاجرين في تحقيق نيَّاتهم . وما لا شكَّ فيهِ انَّ اليهوديّ لا يحبُّ السكنى في القرى وان سكن فيها مدَّة غادَرَها ان وجد فيها أدنى مشقَّة فيدلهـا بالتجارة الصغيرة . وكثيرون منهم يقدمون الى فلسطين ورأسُ مالهم من مئة الى ثلثمائـة ليرة انكليزيَّة ومن ساعتهم يبتنون لهم بيتاً بالدَّين ان امكنهم ثمَّ يفتحون دكَّاناً يبيعون فيهِ جبناً او ابازير او يتَّخذونهُ للعلاقة والتزيين

فلا بُدَّ اذن ان يمضي زمن مديد قبل ان يبلغ عـدد اليهود المحتلّين في فلسطين مليوناً فكم ينبغي لذلك من المصاريف التي سيتكلَّفها المصرف البنائي اليهوديّ فلا غرو انَّها ستبلغ الملايين العديدة من الليرات . ومهما كان اليهودي ذا ثباتٍ في مقاصده ولو مرَّت عليهِ مئات السنين لا بُدَّ ان اليهود المنبثين في العالم سينفرون عن دفع هذه الاموال دون طائل وافادة (١

الصهيونية السياسية

من المعلوم انَّ الصهيونيَّة الاقتصاديَّة استعداد للصهيونيَّة السياسيَّة ليصير الحكم في فلسطين لدولة يهوديَّة . لكنَّنا نشك في نجاح هذه كما شككنا في نجاح تلك . وذلك لان الصهيونيَّة السياسيَّة لا يمكنها ان تستغني عن القوَّات البريطانيَّة والجيشُ البريطاني يكلّف الصهيونيين ملايين من الليرات الانكليزيَّة فوق ما يتكلَّفونهُ للمهاجرين . فانَّ نفقات هـذا الجيش بلغت في السنة ١٩٢٢ مليونين من الليرات وفي

---

(١) وقد اقرَّ الصهيونيُّون في المؤتمر الثالث عشر الذي عقدوهُ في كرلسباد سنة ١٩٢٣ انَّ عدد اليهود المهاجرين سنويًّا الى فلسطين يتراوح بين ٦ الى ٨ آلاف نفسة . وقالوا « اننا نعجز عن بقاء هذا العدد السنوي ما لم يتبرَّع المحسنون عليهم بمبالغ اعظم . وليس لدينا الوسائط لنقدّم للمهاجرين معاشهم وما يحتاجون اليهِ من الوسائل للفلاحة والتجارة والصناعة . واغلبهم لا مال في يدهم »

١٩٢٣ اكثر من مليون ونصف

فكلّ هذه الاعتبارات تكشف لنا الستار عن احوال الصهيونيّين السيّئة فهما سعوا بتعبية خزائنهم الماليّة وبالقيام بالمشاريع الحاضرة فانّ ذوي العقول الراجحة لا يؤملون خيرًا من مساعي الصهيونيّين وقد وجدنا في كتابات بعضهم اقرارات مثل هذه «انّنا مشرفون على أزمةٍ وافلاس لم يحصل مثلهما حتى الآن في تاريخ الصهيونيّة»

اكان اليهود في حاجةٍ الى موطن قومي ؟

هذا سؤال نختم به مقالنا وقد اجاب عليه السنيور الايطالي تريتوني في كتاب حديث عنوانهُ «الصهيونيّة ومشاكلها السياسيّة في فلسطين (١ قال المؤلف : «لا يخفى على احد انّ اليهود منذ نحو الفي سنة لا دولة تجمعهم . فانهم متشتتون بين كل الامم يتمتّعون فيها بذات الحقوق والواجبات التي لاهلها ولا يفترقهم عنها سوى دينهم اي شريعتهم والتلمود . لكن الدين في عُرف الصهيونيّين كما في عُرف معظم الدول الحاضرة هو امر الضمير الخاص . ومن ثمّ ليست غايتهم إحياء «اليهودي الديني» بل إنعاش «اليهودي الوطني» وقد توالى في التاريخ ذكر أمم تلاشت من الكون انما ذكرهُ لأمّةٍ قامت من قبرها فذلك مما يجهلهُ التاريخ تمامًا . فيجب اذن القول بانّ الدولة اليهوديّة ان تمّ انشاؤها فعلًا ستكون كبقيّة الدول مجرّدة عن الدين فيعيش فيها اليهوديّ الموسويّ واليهوديّ النصرانيّ واليهوديّ الملحد واليهوديّ البروتستانت واليهوديّ الملحد كما ترى في انكلترة مثلًا الانكليزيّ البروتستانت والانكليزيّ اليهوديّ والانكليزي الكاثوليكي . فان قال الصهيونيّون : كلّا لا يدخل في هذه الدولة الّا المتديّنون من اليهود الجارين على سُنن دينهم اجيبهم : أتطردون من دولتكم المنتظرة الالوف المؤلفة من اليهود الاحرار الفكر المتشيّعين لكلّ الآراء العصريّة؟ أفلطلّكم تفعلون كما فعل اجدادكم في زمن المسيح اذ تهدّدوا كلّ من يؤمن به ان يطردوهُ من مجامعهم ؟»

ولا يذهلنّ احد عن حالة اليهود في فلسطين قبل اعلان بلفور فانّهم كانوا فيها

(١ Tritoni : Il Sionismo e le sue difficolta politiche in Palæstina

كغرباء. فان مُنحوا الآن وحدهم حقّ السكنى فيها كوطنيّين مع قلّة عددهم وقع الظلم في مجمل حقوق الاكثريّة الذين كانوا اهل البلاد الشرعيّين اعني العرب المسلمين والنصارى. فتفضيل اليهود عليهم بجعلهم وطنًا قوميًا جرحٌ أليم في نفوسهم وخطر دائم على استقلالهم لا يستطيعون غضّ الطرف عنها مهما اجتهدت الدكلترة بان تلطّف معنى الوطن القومي. فانّ الصهيونيّين يطنون جهارًا بنيّاتهم الصحيحة. ولا أمل البتّة في امتزاج العنصرين العربي واليهودي طالما يعتبر اليهود انفسهم كالشعب المختار والعنصر الاشرف ويعتبرون سواهم دونهم رتبةً. والتاريخ اليهودي قد بجّن في عقولهم ما رواهُ سفر التكوين انّ اسمعيل واسحاق لا يستطيعان المعاش في بيت واحد

وكما انّ الصهيونيّة خطرٌ على العرب المسلمين كذلك خطرها على النصارى واضح وهم يكرمون فلسطين كموقع الاراضي المقدّسة التي قدّسها السيّد المسيح فلو صار الامر في حوزة اليهود أفيُبقون شيئًا ممّا يكرمهُ النصارى؟ وقد رأينا في هذه الآونة الاخيرة الشتائم التي وجّهها بعض اليهود لشخص ابن الله فثاروا عليهم بذلك بغض النصارى والمسلمين معًا فقامت الاحتجاجات في كلّ ناحية على وقاحة دوار هيوم ولم يسكتوا حتى برز الحكم على صاحب تلك الجريدة بغرامة ماليّة وتخطئة كلامهِ البذيء

الختام

فخلاصة الكلام انّ الصهيونيّة خطر مستديم. وليس من وسيلة لإخماد الحركة العربيّة ما دام الصهيونيّون يسعون الى انشاء وطن قومي في فلسطين. وهذا ممّا يلوح كلّ سنة في التظاهرات والاحتجاجات التي يقيمها الاهلون برصانة وثبات في ثاني يوم من شهر تشرين الثاني الذي فيهِ اعلن بلفور قرارهُ المشئوم. ولا امل لليهود انّ يعيشوا يومًا بامان تامّ في موطنهم هذا. وكلّهم ولو بلغ عددهم مئات الوف سيُعتبَرون كشوكة اليمة في عين عرب فلسطين. يشاركهما في نفورهما كلّ عقلاء الاوربيّين. وانّهُ لضلال مبين سعيُ القيّمين بتنشيط الصهيونيّين في مساعيهم وتسهيل المهاجرة الزائدة لليهود نحو فلسطين. ولا بُدّ ان تخيب يومًا آمالُ الصهيونيّة السياسيّة. وعلى كلّ حال انهُ لمستحيل ان تُحَلّ المسألة اليهوديّة على هذا المنوال بل ستزيد ارتباكًا وخللًا انار الله بصائر الساعين بهذه الفكرة المشئومة

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثالث

في اسم بيروت

اسم بيروت اسمٌ سامي فينيقي كبقية اسماء المدن الواقعة في سواحل الشام بين اللاذقية وصور . الا انَّ العلماء لم يتفقوا على معنى الكلمة فذهبوا الى آراء شتى . فمنهم من فسرها بمعنى بَيت البئر (בירות) اي الابعد والجهد وزعموا انها «بَعل بَريت» المذكورة في سفر القضاة (٩ : ٤) والكلام هناك على مدينة في السامرة

وقال غيرهم انَّها «بَرُوت» (ברות) في العبرانية ايضاً بمعنى القُوت والطعام . وظنَّ قومٌ انها المدينة بَرُوتا (ברותה) المذكورة في نبوَّة حزقيال (٤٧ : ١٦) والصواب انَّ موقع هذه كان في شمالي فلسطين

واصحُّ من هذين الرأيين قول من اشتقَّ اسم بيروت من الارامية بَروتا (ḥ̣ṭ̣ṭ̣) ومعناها السرو او الصنوبر لوجود اشجارها منذ القدم في جوار بيروت . ويوافق هذا الاسم في الاشورية «بُراشو» وفي العبرانية (ברוש) قيل انَّ بيروت سُمِّيت بهذا الاسم تذكاراً للإلهة الفينيقية عشترت معبودة بيروت التي كان السرو رمزاً لها . وهذا الرأي قديم اورده فيلون الجبيلي عن اول مؤرخ لفينيقية سَنكُن يَتُن البيروتي السابق لعهد المسيح (Historicorum Græc. Fragmenta, II, ed. Didot, p. 136) . وهو يدعوها (Βηρούθη) . وتبعهما في هذا الرأي بعض المحدثين من جملتهم الاب بطرس

مرتين اليسوعي في تاريخه اللبناني الذي طُبع منهُ بعض الفصول (اطلب تاريخ لبنان ص٣٨٣) . وعشترت هذه هي إلهة العشق والجمال التي عرفها العرب باسم الزُّهَرة او اللات والرومان باسم ڤينوس (Vénus) وسيأتي عنها الكلام في فصل آخر . ولعلَّهم اشاروا بهذا الاسم الى حسن موقع بيروت وجمالها

وقد صدَّق الكاتب اليوناني القديم هستيسون الميلطي على انَّ بيروت دُعيت بهذا الاسم اشارةً الى عشترت لكنَّهُ يشتقّ اسمها من اصل آخر من «بيروت» او «ابيروت» (אבירות) بمعنى القوَّة و«أبير» بالعبرانية القوي الشجاع والحريز المتين . وربَّما اطلقوا هذا الاسم على الثَّور (المزمور ٢١ : ١٣) الذي كان ايضاً من صفات عشترت يصوّرونها وعلى رأسها شبه الثور

وليس بين آراء القدماء رأي أَرجح في تفسير اسم بيروت من اشتقاقه من البئر وهو يُجمع في العبرانيَّة على «بئروت» (בארות) اي الآبار وذلك لكثرة الآبار التي حفرها الاقدمون في احيائها وضواحيها تُرى الى يومنا آثارها الحسنة تحت المدينة . وكانت مياهها عذبةً يشرب منها حاضراً اهل بيروت قريباً من دير راهبات المحبَّة . ولذلك ارتأى اسطفان اليوزنطيّ من كتبة القرن الخامس للمسيح انَّها دُعيت بيروت لعذوبة مائها

وقد ثبت لبيروت اسمُها هذا مع تقلُّب الدول فرواهُ القدماء على صور مختلفة في اليونانيَّة واللاتينيَّة هكذا Berito, Beritho, Biritos, Birthon, Piriton وكثيراً ما يحتزل اسمها بعضُ اليونان كنونُس وتاوفان وبروكوبيوس فيدعونها بِرُويا (Βερόη) كما يدعون به مدينة حلب . بل زعم المؤرخ نونُس (Dionysiaques, XLD) ان هذا الاسم سبق بقيَّة اسمائها

وشاع لبيروت بين السريان خصوصاً اسم دِرْبي (ܒܝܪܬܐ او ܒܝܪܬܐ) كما يرويه بَرْبهلول وبَرْعلي في معجمهما . ودِربي احدى مدن اليونان . وقد دعاها اوغسطوس قيصر باسم ابنته يوليا لما خوَّلها امتيازات المستعمرات Colonia Julia Augusta Felix (Berytus)

وفي عهد الصليبيّين جاء في تاريخ غليلموس الصوريّ (ك ١١ ف١٣ ص٤٧١) انَّ بيروت دُعيت قديماً جِرسة (Gerse) او جريس نسبةً الى بانيها من اولاد كنعان بن

حام ولا نعلم من اين اخذ هذه الرواية التي نقلها ايضاً ادريخوميوس (Adrichomius, *Miscellanea*)

البحث الرابع

قِدَم بيروت

لو أَعَرْنا سمعاً الى ما جاء في خرافات الاقدمين من الفينيقيّين لَقُلنا انَّ اصل بيروت يتَّصل بعهد الآلهة ويرتقي الى اوائل الخليقة فانَّ سَنْكُنْ يَتُنْ اقدم مؤرّخي فينيقية قد روى عنها ما شاع في زمانهِ اي القرن الرابع قبل المسيح فقال (في الفقرة الثانية من تاريخهِ العدد ٨) : انَّ الاله إيل او عِلْيون وهو اوَّل ملوك جُبَيْل اتَّخذ له زوجةً الإلهةَ المدعوة بيروت ثمَّ بنى جنوبيَّ جبيل مدينةً دَعَتها زوجتُهُ باسمها بيروت. وقيل بل بيروت اسم ابنتها فدَعَوا المدينة بها

وقال نونُس الشاعر اليونانيّ في كتابهِ عن الإله ديونيسيوس او بخُوس (١ الذي صنَّفهُ في القرن الرابع للمسيح : « انَّ بيروت اوَّل مدينةٍ بناها الاله إيل بنفسهِ وهي وحدها أُنشئت قبل مدن الارض وسبقت الاله فانتون (اي الشمس) الذي يستعير القمر من ضوئهِ »

ثمَّ اردف سَنْكن يَتن قائلًا : « انَّ ايل وهب بيروت لاله البحر يوصَيْدون (Ποσειδῶν) الذي يدعوهُ الرومان نبتون (Neptune) وللجبابرة المعروفين بالكبيري (Cabires) الذين اخترعوا فنَّ الملاحة »

فبهذه المبالغات يُستدَلّ على امر واحد لا مراء فيه وهو انَّ بيروت من اقدم مدن العالم وان لم يمكنّا ان نعرّف بالتدقيق زمن بنائها. ولو صحَّ قول غليلموس الصوري بأنَّ بانيها جريس او جرجيس او جرجاش الخامس من بني كنعان المنتسب اليهِ الجرجاشيون في سفر التكوين (١٠ : ١٦) لَثبت انَّها بُنيت بعد الطوفان بزمن قليل اعني في الالف الرابع قبل المسيح

---

١ Nonnus: *Dianysiaques* XLI, 67 et 91

ومهما كان من مزاعم القدماء وآرائهم المتناقضة نستطيع القول بلا شكّ انّ اصول بيروت عريقة في القدم كاد نشوؤها يخفى عن ابصار اقدم الكتبة وأدقهم بحثاً. ولا بأس من القول بانّ البشر الاوّلين سكنوها قبل تصيرهم الامصار وإنشائهم المدن في عهد العمران البشري اي في الطور المعروف بالظرّان السابق لطور المعادن. والدليل عليه مقرّر راهن يستند الى الآثار التي وقف عليها ارباب العاديّات ومن جملتهم حضرة الاب زمّوفن وبعض اساتذة كليّتنا والمكتب الطبي الفرنساوي. وقد جمعوا قسماً كبيراً منها في متحفيها ومثلهما في متحف الجامعة الاميركانيّة ومتحف بيروت العمومي الحديث. وهذه الآثار عبارة عن قطع من الصوّان وُجدت في طرفي بيروت قريباً من نهرها ماغوراس (Magoras) وعند رأسها الرملي الممتدّ جنوب المدينة بميلٍ الى غربها. وهذه الحجارة الصوّانيّة مختلفة الهيأة منها ما هو اقدم عهداً وهو الصوّان المنحوت (silex taillés) وغيرها احدث زمناً وهو الظرّان المصقول (silex polis). وبعض هذه المصنوعات هي من عظام الحيوان. وقد اتّخذ القدماء من كليها ادواتٍ عديدة على اشكال متباينة كالسهام والسُّنن والفؤوس والمناشير والمُدى يتوسّلون بها للدفاع عن نفوسهم ولصيد الحيوان ومقاتلة الاعداء ولكافّة امور معاشهم وبَيْتهم (١)

وكانت عيشة اولئك القوم في همجيّتهم الاولى فطريّةً ساذجة فكانوا يأوون الى الكهوف والمغاور في ايّام الشتاء وقد وُجدت بقايا من آثار طعامهم في مغارة انطلياس بينها عظام حيوانات مفقودة في عهدنا كانوا يصطادونها. ويعيشون في بقيّة فصول السنة تحت القبّة الزرقاء او ينصبون لهم خياماً من اغصان الشجر او يتّقون حرارة الشمس بجلود الحيوان. فداموا على ذلك زمناً مديداً حتى عنّ لهم ان يبتنوا عوضاً عنها المساكن البسيطة من الحجار او اللبن

ويؤخذ من اخبار ملوك الكلدان الاوّلين المنقوشة في بلاد بابل بالخطّ المساري ان ملوك تلك الانحاء غزوا غير مرّة القبائل الساكنة في سواحل الشام في الالف الرابع قبل المسيح فبسط ملكهم نيرامسين عليها سيطرتهم ردحاً من الزمان. ولما ضعف سلطان الاشوريين وانتقض حبلهم انتهز الاموريّون المالكون في ما وراء

(١) اطلب في المشرق ١ [١٨٩٨] : ١٧ و ٢٦٣ مقالتين للاب زمّوفن في وصف طوريّ الظرّان وعطّافهما في بيروت وسواحل الشام

بجيرة لوط فتقرّبوا الى جهات بحر الشام وتملّكوا على سواحله. والرأي الشائع اليوم انّ منهم كان الملك حَمُورابي وسلالتهُ فسار من بلاد الشام الى بلاد بابل وغلب عليها ملوكها وقهر ما كان في تلك الجهات من القبائل الآراميّة والكنعانيّة التي كانت تسكن السهول المجاورة لخليج العجم فهاجرت هذه العشائر الى جهات الغرب وسكنت مدّةً في براري الجزيرة يزاحم بعضها بعضاً. ولما أيئست من احوال الزمان ما يساعدها لاضطراب امر ملوك بابل تقرّبت الى سوريّة الشاليّة وسكنت فيها اعواماً حتى أدّى بها المسير الى سواحل البحر المتوسّط فامتزجت باهلها الاموريين ثمّ غلبت عليهم وكان ذلك في اواخر الالف الثالث قبل المسيح

واستوطنت هذه القبائل خصوصاً القسم المعروف بفينيقية وهو الساحل البحريّ الممتدّ بين اللاذقيّة وصور وعُرفوا بالفونيّين (Pouaniti, Pœni, Pæni) وهو الاسم الذي كان يطلقهُ المصريّون على سكان تلك الانحاء ثمّ تصرّف اليونان بالاسم فدعوا البلاد فينيقية واهلها فينيقيّين مشتقّين الاسم من لفظة يونانيّة معناها النخل (Poinix) لانهم وجدوا تلك الجهات كثيرة النخل زاهية باشجارها

ثمّ نمت تلك القبائل وتفرّقت واتخذت كلٌّ منها مستعمرة فقويت شوكتها واصبحت على شبه مملكةٍ صغيرة مستقلّة بالحكم والتدبير عن سواها

واشتهر من هذه الممالك مملكة أرواد ومملكة جبيل ومملكة بيروت ومملكة صيدون ومملكة صور. والمرجّح انّ مملكة جبيل تقدّمت عليها وتفرّعت منها. وكانت بيروت اوّل مستعمرات الجبيليّين جعلوها مملكةً مستقلّة متاخمة لمملكتهم فتكون سبقت مملكة صيدون. وكان طول مملكة بيروت نحو ٣٦ كيلومترًا تمتدّ بين نهرَي الكلب والدامور. كأنّهم جعلوا الكلب حارساً لتخمهم الشمالي فدعوا به النهر. امّا عرضها فكان لا يتجاوز عشرة كيلومترات من البحر الى سفح لبنان

ومع صغر هذه الممالك وضيق ساحتها قد نالت شأناً عظيماً لشهرة اهلها بالتجارة فكانوا يستجلبون برًّا مرافق البلاد الداخليّة الى البحر بواسطة قوافلهم العديدة فينقلونها على سفنهم الى مصر وجهات اليونان وبلاد الغرب وسواحل اوربّة كما تدلّ عليه آثارهم هناك ثمّ يأتون بمحصولات تلك البلاد الى فينيقية فينقلونها الى

اقاصي العراق والعجم والهند .. وقد وجدوا في حفريّات جُبيل وسواحل فينيقية كثيرًا من مصنوعات المصريين وقبائل اليونان القديمة ومن الآثار الاشوريّة ما يُثبت كون فينيقية كانت بلادًا وسطًا بين اقاصي الشرق والغرب

على انّ تعدُّد هذه الممالك الساحليَّة مع صغرها كثيرًا ما سبب المنازعات والحروب بين اهلها. فانَّ التاريخ القديم يذكر ان مملكة صيدا حاولت مرارًا قهر سلطة اهل بيروت واستعبادهم فردَّهم البيروتيون خاسرين

وكان صغر تلك الممالك يعرّضها لخطر اعظم من جانب الدول الكبرى. فان ملوك اشور وبابل طمحوا اليها واغاروا عليها مرارًا وربّما ضربوا على اهلها الجزية يؤدونها لهم بما يطلبونهُ من الأرز وغيره من الاخشاب اللبنانيَّة. وقد ورد اسم لبنان لاوّل مرَّة في كتاباتهم المسماريَّة على صورة لبناتو اي الجبل الابيض اذ رأوه معمَّماً بالثلوج الغرّاء التي تكسوهُ حليةً من البياض اليقق

وكذلك فراعنة مصر منذ سلالاتهم الاولى في اواسط الالف الثالث عرفوا كنوز لبنان المعدنيَّة والنباتيَّة واكرموا آلهة الفينيقيّين كالبعل وعشترت واقاموا في جبيل هيكلًا لمعبوداتهم الوطنيَّة وجد الاثريُّون وخصوصاً السير بيار مونته بقاياهُ الفخيمة. وكانوا يرسلون لهُ كل سنة التقادم والنذور والآنية الثمينة والألطاف المختلفة التي اكتشفوا منها كثيرًا بل ادخلوا في جملة معبودات المصريّين عبادة آلهة فينيقية. فكانوا بهذه المعاملات السياسيَّة والاقتصاديَّة يُعدُّون دولتهم لفتح تلك البلاد كما حدث بعد ذلك في عهد السلالة الثامنة عشرة

وقد ورد اسم بيروت لاوّل مرَّةٍ في اثر هيروغليفيّ مصون في المتحف البريطانيّ في لندن يرقى عهدهُ الى السلالة الثانية عشرة وهو عبارة عن كتابة حرَّرها احد وجوه المصريّين يصف فيها رحلتهُ الى سوريَّة ويذكر جملة ما زار من المدن مبتدئاً بالمدن الداخليَّة الى حلبون يريد بها حلب الشهباء. ثمَّ يذكر اخصَّ المدن الساحليَّة: جُبيل ثمَّ بيروت ويدعوها بيروتا ثم صيدون ثم صَرفَت

وقد تكرَّر بعد ذلك اسم بيروت في جملة المدن التي فتحها الفراعنة في القرن السادس عشر قبل المسيح لا بل كان المصريون يطلقون على معدن الحديد اسم بضاعة

بيروت « با ان برت » كما اثبت ذلك حضرة الاب لامنس في كتابهِ عن آثار لبنان (٢٢٢:٢)

فيلوح من كلّ ما سبق انّ بيروت قد حلّت منذ قديم الزمن محلًّا ممتازًا وان اصولها راقية الى الازمنة المظلمة حيث التاريخ كان مختلطاً بخرافات البشر

وان اعتبرتَ ضواحيها الداخلة في مملكتها وجدت ما يؤيد امر قِدَمها . ولاسيما ذلك النُّصب الذي حفرهُ رعمسيس الثاني المعروف عند اليونان باسم سيسوستريس دلالةً على حلولهِ في سواحل فينيقية وهو اثر جليل في الصخور المشرفة على نهر الكلب حيث تُرى صورتهُ قائمًا بإزاء إلهِ « راع » ساجدًا لهُ وتاريخ الاثر في السنة الرابعة لملكهِ

(لها بقية)

خطر جسيم

او

اللغة العاميَّة

بقلم حضرة الاب انطون صالحاني اليسوعي

فاجأتنا مقالة مستغرَبة ادهشتنا تنبّأ فيها كاتبها بخطر جسيم يتهدّد اللغة العربية الفصيحة . بل قُل العربية عامّةً . لان اللغة الفصيحة ليست اللغة التي يحشوها الكاتب الفاظاً وحشية غير مأنوسة لا يُدرك معناها سوى مَن حفظ الكلام العويص . بل هي اللغة التي تتضمّن الفاظاً تفهمها العامّة وتستعملها سليمةً من كلّ شائبة خطإٍ ومن الاغلاط المخالفة للقواعد العربية في عبارات واضحة وتراكيب غير معقّدة تؤدّي المعنى المُراد

والذي يتهدّدنا بهذا الخطر الغير المنتظر اي اندثار اللغة الفصيحة وتغلُّب العاميَّة

بيروت « با ان برت » كما اثبت ذلك حضرة الاب لامنس في كتابهِ عن آثار لبنان (٢٢٢:٢)

فيلوح من كلّ ما سبق انّ بيروت قد حلّت منذ قديم الزمن محلًّا ممتازًا وان اصولها راقية الى الازمنة المظلمة حيث التاريخ كان مختلطاً بخرافات البشر

وان اعتبرتَ ضواحيها الداخلة في مملكتها وجدت ما يؤيد امر قِدَمها . ولاسيما ذلك النُّصب الذي حفرهُ رعمسيس الثاني المعروف عند اليونان باسم سيسوستريس دلالةً على حلولهِ في سواحل فينيقية وهو اثر جليل في الصخور المشرفة على نهر الكلب حيث تُرى صورتهُ قائمًا بإزاء إلهِ « راع » ساجدًا لهُ وتاريخ الاثر في السنة الرابعة لملكهِ

(لها بقية)

خطر جسيم

او

اللغة العاميَّة

بقلم حضرة الاب انطون صالحاني اليسوعي

فاجأتنا مقالة مستغرَبة ادهشتنا تنبّأ فيها كاتبها بخطر جسيم يتهدّد اللغة العربية الفصيحة . بل قُل العربية عامّةً . لان اللغة الفصيحة ليست اللغة التي يحشوها الكاتب الفاظاً وحشية غير مأنوسة لا يُدرك معناها سوى مَن حفظ الكلام العويص . بل هي اللغة التي تتضمّن الفاظاً تفهمها العامّة وتستعملها سليمةً من كلّ شائبة خطإٍ ومن الاغلاط المخالفة للقواعد العربية في عبارات واضحة وتراكيب غير معقّدة تؤدّي المعنى المُراد

والذي يتهدّدنا بهذا الخطر الغير المنتظر اي اندثار اللغة الفصيحة وتغلُّب العاميَّة

عليها هو احد الكتّاب الذين نجلّهم وقد عوّدنا على ذوق صحيح وكلام فصيح . ولا ندري كيف انتقل بغتةً من حرّ الى قرّ ومن روضةٍ الى برّ فانخدع بالسراب

نشر حضرة الاب الفاضل الخوري مارون غضن مؤلّفاً جمع فيهِ ما كانت جادت بهِ قريحته من المقالات والمقاطيع نثرًا ونظماً وطُبع سابقاً مفرّقاً في المجلّات والجرائد . وضمّ الى هذه المجموعة مقالةً في ٢٦ صفحة تردّد كل صفحة منها النغمة ذاتها . ويظهر ان حضرته ابتكر المقالة مؤخرًا فسمّاها « حياة اللغات وموتها » وتكلّم فيها عن «اللغة العامية» . ونعت هذا المقال بانّه «بحث فلسفيّ لغويّ اجتماعي» . فلو كان حذف اللفظتين «فلسفي اجتماعي» لكان اقرب الى الصواب . لانه ليس في المقالة ما يُشتمُّ منهُ رائحة البحث الفلسفي والاجتماعي . كأنّ الإكثار من النعوت يُكسب البحث اهميّة ليست فيه

قال حضرته : « هذا بحث جديد لا نذكر انّ احدًا خاضهُ قبل الآن مع ما هو عليهِ من خطورة الشأن في نموّ اللغات وتقلّبها وشيخوختها وانسلاخها »

لا ريب في ان البحث عن اللغة العامية هو جديد لم يخطر في بال احد من العرب . لا لخطورة شأنه لكن لتوهّم من الناس في عصرنا . فان حضرتهُ يؤكد لنا انه لا يتمّ الّا بعد بضعة اعصر . فهذا القول ازال خوفنا على العربية الفصيحة وهدأ روعنا . فيمكننا ان نداوم بدون قلق على اتقانها

ثم ان حضرة الكاتب لا يلتفت في بحثه الى تاريخ اللغة ونشوئها وفتوتها وشبابها . بل نظر الى اندثارها وفنائها فقط . ولا يخفى ان البحث عن اللغة يتطلّب من الكاتب ان يتكلّم عن كل اطوار حياتها لتعلم مقدرتها على الثبات في الحياة او ضعفها الآيل بها الى الممات . لكن هذا البحث يقتضي من الكاتب علماً واسعاً في العربية وتاريخها وفي اللغات السامية القريبة منها

ان السبب الذي اوقع حضرة الكاتب في الخطإ هو انه افترض في العربية لغتين الواحدة فصيحة والاخرى عامية . وهذا ليس بصحيح . لان اللغة العربيّة هي واحدة . انّما ما يسمّيه حضرته لغة عامية فليس في الحقيقة الّا الالفاظ والعبارات التي يستعملها الكتّاب والادباء فالعامّة تستعملها ممزوجة بالاغلاط . اما المتأدّبون فيستعملونها مهذّبة

خالية من الخطأ المخالف لقواعد اللغة

وللعامّة ايضاً لهجات في الحركات عند التكلّم تختلف باختلاف البلدان شرقاً وغرباً وقبلةً وشمالاً وجبلاً وسهلاً ومُدناً وقُرًى . ولا تكاد هذه الاختلافات تحصى ولا قاعدة لهذه الاغلاط واللهجات تسير العامة بموجبها . وقد اقرّ بذلك حضرة الكاتب اذ قال (ص١٨٩ في آخرها) : « المراد باللغة العامية اللغة التي يُنطَق بها ليس غير والتي لا آداب لها خلافاً للغة الفصحى » . فهذا دليلٌ واضح على ان اللغة العامية ليست لغة قائمة بذاتها اذ لا قواعد لها ولا تتميز عن اللغة الفصيحة الّا بما يخالطها من الاغلاط (١

وتستعمل العامة الفاظاً اجنبيَّة او الفاظاً لا وجود لها في الامّهات اللغويّة . وذلك مّا لجهلها اللغة وامّا لعدم معرفتها ما يقابل الالفاظ الاجنبيَّة في العربية . وهذا وان كان لا يُستحسن لا يمسّ سلامة اللغة وصحيحها لانهُ يسيرٌ بالنسبة الى غنى اللغة العربية . فهو كيسير من الماء في اناء خمر عتيقة لا يؤثر في طيبها ولا في رياحها . ولا مانع من ان يقتبس ايضاً الكتاب والادباء الالفاظ الاجنبية مع مراعاة بعض الشروط خلافاً لما كتب حضرة صاحب المقالة اذ قال (ص١٩٢) :

---

١) فاذا قيل مثلاً : « اجا هلّق ولاد من المدرسه حظُّن قليل في هالدنيه وقالولو لمعلّمن فكرُن عن هالمجلّه » كان كلاماً عامياً لانه مشحون بالاغلاط . الّا ان جميع الفاظه يستعملها الادباء . فيقولون : جاء في هذا الوقت اولاد من هذه المدرسة حظهم قليل في هذه الدنيا وقالوا لمعلّمهم فكرهم عن هذه المجلة » فيكون كلامهم خالياً من الاغلاط فصيحاً يفهمهُ الجميع حتى صغار التروبين الذين لم يدخلوا مدرسةً ولم يسمعوا بشيءٍ من العلوم

وهكذا القول عن العبارة التي ذكرها حضرة كاتب المقالة تبياناً لمقدرة اللغة العامية على التأثير في القلوب وهي : « فرنسا ما في مثلا بالدنيه كلاّ » فاستنتج ان هذه العبارة العامية اثرت اي تأثير في الحاضرين في كنيسة القديس جرجس المارونية . « فهتفت تلك الجماهير العديدة في وسط الكنيسة هتاف الحماسة والفرح وصفّقوا تصفيقاً ارتجّت لهُ ارجاء تلك الكنيسة ارتجاجاً » وعندنا انهُ لو قيلت هذه العبارة هكذا : « فرنسة ما مثلها في الدنيا كلها » لأحدثت التأثير ذاته لانّ التأثير نتج لا عن اللهجة العامية لكن عن معنى العبارة والظروف . فاذا كانت العبارة المهذبة تؤدي المعنى ذاته وبالالفاظ ذاتها فاذا دفع حضرة الكاتب الى ان يفضّل العبارة المحشوة بالاغلاط على المهذبة . وما الفائدة من ذلك سوى التحريض على ارتكاب الخطإ والحطّ من الآداب . هذا سرّ غامض لا يمكننا فهمه

« ان اللغة العاميَّة يسهل عليها اقتباس الكلمات ايًّا كان مصدرها ولو اجنبيًّا . . . اما اللغة الفصحى فلا وجه لها الى الاغتناء الَّا في ان يتواطأ ارباب اللغة فيها على وضع الفاظ جديدة او نحتها من جذر اللغة نفسه . وانَّ في ذلك من الصعوبة ما فيه »

أفيريد حضرتهُ ان يُلتقط التبر على سطح الارض وان تُقطف الزهور والثمار في الطرقات او ان نصادق على مثل هذه الجمل التي تتلفظ بها بعض الاوانس المتفرنجات وقد طرقت آذاننا «عملتُ له بريزانتيه» وما شاكل . فلإغناء اللغة بالفاظٍ جديدة لمعانٍ وحاجاتٍ حديثة لا بدَّ من الوقت والصبر والحكمة والبحث وتواطؤ الكتَّاب على استعمالها ومصادقة جمعية الآداب او جمهور الادباء . اللهمَّ ان لم يجدوا ما يقابلها في العربية او لم يقدروا على نحت لفظٍ لها من جذر كلمة عربية . امَّا اذا تركنا للعامة إغناء اللغة كما يرتأي حضرتهُ عرَّضنا العربية للفساد والهجنة وكانت الفوضى . هذا ما يرضى بهِ حضرة كاتب المقالة ويحرّض عليهِ ونأباه نحن ونتعرّض لهُ . فهو يسعى لانحطاط اللغة ونحن نسعى لصيانتها وسلامتها وترقيها . ولا ريب في ان الادباء في جميع البلاد العربية يرون رأينا . خلافاً لما قالهُ حضرته اذ كتب (ص ١٨٦) :

« نحن واثقون ان [illegible] يأتون على هذه المقالة من يسبرها على رأينا ويقدرها صحَّة ما جاء فيها . بل قد تدفعهم الحميَّة مناصرتنا في تعزيز اللغة العربية العامية . فيكون لهم ولنا في التاريخ الآتي صفحة جميلة يقرأها الآتون بالشكر والاعجاب » (١

هذا ما نرتاب بهِ كل الارتياب بل نتحقَّق خلافه فتكون مقالته صفحة سوداء يقرأها اهل زماننا بالدهشة والانذهال ولا يذكرها الآتون بعدنا البتة لانها تغوص كالحجر في بحر النسيان

ويا حبَّذا لو كان صاحب المقالة خاض البحث ليبيّن ما يشوب اللغة العامية من الاغلاط عوضاً من ان يستحسنها . وحبذا لو حرّض العامة وخاصَّة طلَّاب العلم على اتقان اللغة وتحسينها وتجنب ما يحطّ من قدرها ويشينها لكان خدم وافاد وكنَّا لهُ من الشاكرين . لكنهُ تكلَّم عن اللغة العامية ليرفع منارها ويعلي شأنها على

١) يذكرنا هذا الكلام بالرجل اليوناني الخامل الذكر الذي احرق سيد دلفوس لينتشر صيتهُ في الآفاق عند الناس

ما فيها من الشوائب فيُضعف الرغائب ويثبط عن العمل ويدفع الى الكسل . سامحهُ الله . لكننا في يقين ان مقالته تكون ضربة في الماء ونفخة في الهواء لا تجديه الّا العناء.

وقد حاول حضرته ببراهين سطحية وذلك باللغة الفصيحة لا العامّية (وكان من الواجب عليه استعمالها ليقرن القول بالفعل) فأجهد فكرهُ ليبيّن اندثار اللغة العربية الفصيحة بتغلُّب اللغة العامية عليها . والعجب كل العجب انهُ يحرّر ذلك وهو يشاهد برأيَ العين والجميع يشاهدون معه النهضة العظيمة التي نهضَتْها العربية من نحو نصف قرن . نرى المدارس تعمُرُ في كل الجهات . وهي غاصّة بالطلّاب . وتُنشأ المجلّات والجرائد العربية وتُنشر الكتب بالمئات والالوف باللغة الفصيحة وموضوعها علم الالهيات والروحيات والفلسفة والآداب العربية والروايات والتاريخ ووصف الارض وطبقاتها وعلم الهيئة والنبات والحيوان والطب وغيرها من العلوم . وذلك ليس في سورية فقط ومصر وبلاد بين النهرين وجزيرة العرب وفلسطين وسائر البلاد العربية بل في الجزائر ايضاً وتونس ومراكش والهند واميركة وهولندة وفرنسة . ونرى عامة الناس من رجال ونساء وشبان وصبايا ينصبّون بتلهّف ولذّة على مطالعة هذه الكتب والنشرات . ونشاهد ما لم نشاهده في ما مضى الاوانس تُنشئ المجلات وتكتب المقالات المستحسنة في اللغة العربية الفصيحة وتؤلف الكتب المفيدة في مواضيع مختلفة . وتخطب في النوادي وتنشر الروايات ويُقبل الجنس اللطيف فضلًا عن الرجال على قراءتها بمسرّة واعجاب (راجع ما كتبهُ البشير في ٢٢ك٢ ١٩٢٥ عن نهضة الادبيات واقبال الجمهور عليها) . أفليس كل ذلك من الادلّة الباهرة على نهضة عظيمة في اللغة العربية تمّت باقلّ من نصف قرن . فبعد هذا المشهد الجميل يمكن لحضرة الكاتب ان يندب القوم لمناصرة اللغة العامية على الفصيحة

وقد اقرّ حضرتهُ بان اللغة تترقى بترقي الشعب اذ قال (ص ١٨٧) :

« ان كل لغة يتكلّم بها الشعب ولو كان من الهمج تكون حيّة بحياة ذلك الشعب العقلية والادبية فتسمو بسموّها وتتلاشى بتلاشيها . واذا ترقّى الشعب مراقي الحضارة ترقّت لغته والعكس بالعكس . وهذا المبدأ لا ينطبق على درجة حياة اللغة فقط بل على نوعها ايضاً . اعني ان حياة اللغة اشبه بمرآة صادقة فيها نرى حياة الشعب وجميع ممتازاتها . فاذا كان ذلك الشعب راقياً في الصناعة

او التجارة او الفنون الجميلة او العلوم كثرت في لغته الالفاظ والتعابير المختصة بتلك الصناعة او التجارة الخ »

هذا ما كتبهُ حضرتهُ

ونحن لا نسلّم بالنتيجة التي استنتجها ولا بوفرة الالفاظ الاجنبيّـة التي تدخل اللغة العربية وفنكر مقدرتها على تحويل اللغة الفصيحة الى عامية . ولا نوافقه ايضاً في ما يدّعي بان التجار والصنائعيين كالنجّارين والحدّادين وصانعي الاحذية ومن يشبههم يؤثرون في تحويل اللغةالعربيّة كما انهم لم يؤثروا في تحويل اللغة الفرنسية من فصيحة الى عامية . ان العامل القدير على ترقية اللغة هم الكتّاب والادباء . فان كثروا وكثُر قرّاؤهم ترقّت اللغة وان قلّوا او انقرضوا تقهقرت اللغة

ثم ان معظم الالفاظ الدخيلة محصور في فئة من الناس يستعملونهـا لحاجاتهم الخصوصية (١ في الصناعة او التجارة او التصوير او الطبّ الخ . ولا ننكر ان بعض هذه الالفاظ تدخل اللغة الفصيحة لكن دون ان تؤثر في فصاحتها او تحوّلهـا الى عامية . فهي كالطعام الذي تتناولهُ ويصير جزءاً من جسدنا

هاتِ الآن نفحص ما ورد به حضرة الكاتب ليثبت ان اللغة العربية الفصيحة آئلة الى الفناء لا محالة . قال حضرته (ص ١٨٧) :

« ان كل لغة على وجه الارض ماشية ضرورةً الى انقضاء مهما بلغت من المجد والكمال . وذلك لان كلّ حيّ يُولد فينمو فيبلغ اشدّه فشبابه ثم يضعف فيهرم فيموت . تلك هي سُنّة الله في كلّ حيّ ولا يشذّ عنها الّا ما كان غير حيّ كالجماد مثلاً »

كأنّ الجماد لا يفنى ايضاً اذ يتحوّل بالعوامل الطبيعيّة الى فُتات وحُتات ودُقاق . وقال ايضاً (ص ١٨٨) : « لا بدّ لكل لغة من ان تموت ولو بلغت اسمى درجـات

١) صرّح بهذه الحقيقة العلامة انطوان غرينوار المعلّم في المدرسة الملكية في مدينة لياج من اعمال بلجيكة في كتابهِ عن اللغات قال :

Beaucoup de ces expressions ne sortent pas du milieu restreint dans lequel elles ont pris naissance. Cependant un certain nombre d'entre elles passent dans la langue commune. Ce dernier phénomène s'est produit de tout temps, mais dans une mesure moindre qu'aujourd'hui (ANT. GRÉGOIRE : *Petit Traité de Linguistique*, p. 106)

الكمال . فهذا لأنها حية والموت متحتم على كلّ حيّ » . فلماذا لم يقل ايضاً عن اللغة العامية التي هي حية انها آئلة الى الاندثار والفناء كالفصيحة . ولكن لنسمع ما فسّر به حضرته قوله ان كل لغة سائرة الى الفناء قال (ص١٨٧) : « معناه ان كل لغة تتحوّل شيئاً فشيئاً من صورتها الاصليّة الى صورة بعيدة عنها بحيث يسع اللغويين ان يعدّوا هاتين الصورتين لغتين مختلفتين لا لغة واحدة رغم ثبوت علاقة الاشتقاق بينهما » . فليبيّن حضرتهُ بالامثلة ما يؤكده هو وننكره نحن اي ان صورة اللغة العربية العامية هي بعيدة عن صورة اللغة الفصيحة بحيث تُعتبر هاتان الصورتان لغتين مختلفتين . فهذا مما لا يمكنهُ تأييده مهما اجهد نفسه

ثم ان المبدأ الذي قرّرهُ بقوله «ان اللغة آئلة الى الفناء لانه متحتّم على كلّ حيّ ان يموت» . هو مبدأ لا يصدق في اللغات لانه يفترض ان اللغات تحيا كالاجسام الآلية وهذا ليس صحيحاً . فهل يمكن للشيخ الهرم ان يعود شاباً . قال الشاعر :

اترجو ان تكون وانت شيخٌ كما قد كنتَ ايامَ الشبابِ
لقد غرّتك نفسكَ ليس ثوبٌ عتيقٌ كالجديد من الثيابِ

اما اللغة فتراها غالباً بعد انحطاطها لإهمال الآداب وموت الادباء تنهض من كبوتها وتنتعش بعد ضعفها وتترقى بترقّي الحضارة والعلوم . فاللغة لا تموت كما يموت النبات والحيوان بل بموت الشعب الذي ينطق بها . فاذا بقي الشعب العربي في الحياة تحيا لغته ويتجدّد شبابها ولا تنحطّ بل تترقّى بترقي آدابه . واذا انقرض الشعب العربي لا سمح الله وابتلعهُ غيرهُ من الشعوب تموت لغته العربية . كما حدث في بر الاناضول حيث ابتلع الترك شعبَي الارمن واليونان في غابر الزمان فغنيت او كادت لغة هذين الشعبين في تلك البلاد واخذت مكانها اللغة التركية . وهذا ما حدث ايضاً في البلاد السورية فانهُ لمّا كثر العرب الفاتحون لها وقويت شوكتهم وصارت السلطة اليهم ابادوا اللغة اليونانيّة في المدن السورية واللغة السريانيّة في القرى

فمن المقرر اذاً ان اللغات لا تموت الا بانقراض الشعوب . فما دام الشعب حيّاً فلغتهُ هي ابداً شابّة . هذا ما قرّرهُ الكاتب البلجكي المشار اليه (١

---

1)Il ne viendra plus à l'esprit de personne, de considérer les langues

ثم ان رأي حضرة الكاتب مردود لسبب آخر. فاذ كانت اللغة في نشوئها لا يمكن القول انها تتحول لكن لا من الكمال الى الانحطاط بل من النقص الى الكمال. امّا اذا كانت بلغت اشدّها اي كمالها فقلّما يطرأ عليها تغيّر او قلّما يؤثر فيها. كما ان الطفل المولود حديثاً تتغيّر هيئتهُ كلّما ترعرع حتى لا نكاد نعرف انهُ هو الذي نظرناه رضيعاً ولكن متى صار كهلاً فهما تغيّرت ملامحهُ يُعرف حالاً انهُ هو هو ولو صار الى الشيخوخة. هكذا اللغات فانها متى ترقّت وبلغت درجة تُذكر من الكمال وأُثبتت في التآليف والكتب كالعربية والافرنسية والانكليزية والالمانية والاسبانية وغيرها فهيا طرأ عليها من التغيرات الجزئية والافرادية التي لا بدّ منهـا بسبب ترقي العلوم والفنون لا يمكن القول انها تتحوّل وتؤول الى الفناء. ولنا مثل في اللغة الافرنسية فان عامـة الشعب الفرنسي لا يستطيع اليوم ان يفهم الكتب التي نُشرت بلغته منذ خمسمائة سنة. ولكن بعد ان ترقّت لغته وثبتت بفضل المدارس والكتب وانتشار الآداب في عامّة الشعب. وقد ساعد على ذلك فنّ الطباعة الحديثة التي لم تسق الـ ١٤٤٠ وتفوق الحكومة ومتوظفيها فلم يعد يحدث في اللغة تغيّر الّا ما ندر وذلك لاسباب عمومية وسياسية وبلاغية وحربية. وهكذا القول عن الالمانية. فالباحثون في ايامنا يفهمون ما كتبهُ من نحو ثلثمائة سنة باسكال وفينيلون وموليير وبوسويه ومسيليون ولافونتين وكورنيل وراسين ولابرويار وغيرهم كثيرون

وهكذا القول عن اللغة الالمانية فانهُ من مائة سنة لم يكن لتلك البلاد الواسعة الارجاء لغة واحدة ولم يكن اهالي سكسونية وويستفالية وبافارية يفهمون بعضهم بعضاً لان الآداب لم تكن بعد عمّت في تلك الاقطار. ولكن بعد ان انتشرت (وكان بدء انتشارها ترجمة لوثيروس للكتاب المقدس والبروتستان مجمعون على قراءته) واخذ الادباء والكتّاب يضبطون اللغة ويحقّقونها بفتح المدارس ونشر الكتب والجرائد والمجلّات تحقّقت اللغة الالمانية وثبتت وتحلّت بالفصاحة وعمّت البلاد

---

comme des organismes, analogues à des végétaux, à des êtres apparaissant un jour à l'existence, poussant tantôt un organe, tantôt un autre, dépérissant en partie ou en totalité et finissant par succomber. (id. p. 95)

الالمانية فيفهمها الجميع . ولا خطر عليها ان تعود الى اللغة العامية

لا بل متى عمّت اللغة الفصيحة في الأمة فانها تبيد كل اللغات الخصوصية وتميتها سواء كان في فرنسة ام في المانية ام في غيرهما من الممالك . وقد اثبت ذلك الكاتب البلجكي الذي اشرنا اليه (١)

ولنا مثال آخر في اللغة العربية وهي من اثبت اللغات فانها في العصر الجاهلي كانت تختلف معاني كثير من الفاظها باختلاف القبائل . ومن هنا اتى تعدُّد الفاظ الاضداد والمرادفات والمعاني المتباينة في اللفظة ذاتها والغير المتفقة مع معنى اللفظة الاصلي الامرُ الذي يحيّرنا لدى مطالعتنا الأمهات اللغوية . ولكن بعد ان كُتب القرآن (والمسلمون دائبون في تلاوته في كل الاقطار) وبعد ان اخذ العلماء يفسّرونهُ وانتشرت الكتب في الحديث . وكتب كثيرون في التاريخ ووصف الارض والطبّ والرياضيات وغيرها من العلوم وضُبطت قواعد العربية وانشئت المدارس وشاعت المخطوطات ثبتت العربية كما يثبت البناء المشيَّد بالحجارة والكلس . فنفهم اليوم كتباً أُلفت من الف ومائتي سنة . وانشاء هذه المؤلفات لا يختلف عن انشاء كتبة عصرنا فيكتب ادباؤنا اليوم كما كتب العرب لفائدة العامة في جزيرة العرب والبلاد الشامية وبلاد بين النهرين وفارس ومصر وتونس والجزائر ومراكش وطرابلس الغرب . ويتكلم ادباؤنا كما يتكلّم اولئك مع اختلاف يسير في اللهجة واستعمال

1) Malgré le regain de sympathies dont profitent certains patois, on constate qu'ils sont en train de disparaître devant l'influence du français officiel et littéraire. Cette décadence constitue encore un trait commun aux dialectes ; dans tout pays civilisé, avons-nous dit, les patois succombent tôt ou tard. On les délaisse de plus en plus ; les générations nouvelles les dédaignent ; le peuple seul et les populations écartées les conservent, jusqu'à ce qu'ils cèdent la place à une langue unique. De nos jours, cette substitution s'effectue avec une rapidité beaucoup plus grande qu'autrefois : en effet, les relations de province à province deviennent plus faciles ; l'instruction se répand davantage, grâce à l'école, aux livres, à la caserne, et surtout aux journaux populaires. (p. 102)

بعض الالفاظ الخاصة وهذا لا بدّ منهُ في اقطار تمتدُّ من بلاد فارس الى صيد مصر ومن عُمان الى الاندلس. فاذا قام اليوم من يتكهن بانحطاط العربية الفصيحة واندثارها وتغلُّب اللغة العامية عليها لا احد يلتفت اليهِ او يُصغي الى اقواله بل يهزُّ عطفَيهِ متبسماً ويقول: سرابٌ بِرَيّة واضمحلّ

ولكن اسمع يا رعاك الله البراهين التي يدعم بها حضرة الكاتب مراده. قال ابانه الله:

« ها نحن نثبت ذلك بأجلى البراهين. قلنا ان حياة اللغة تتكيَّف بتكيُّف حياة الشعب الناطق بها. فانّ هذه الحياة الشعبية في تغير دائم لا ثبات لهُ. وانّ كلّ شعب يتقدّم او يتقهقر في الحضارة ويُكثر او يقلّ من علاقاتهِ بسائر الشعوب ويتشدَّد بالسلم او تتجلّى قواهُ بالحروب من مثل الحرب الكونيّة الاخيرة. وهنالك ايضاً الوف من العوامل التي تحدث تغيراً مستمراً في ضروب احوالهِ. فضلاً عن انَّ افراد الشعب تتغير ايضاً على تتابع الاجيال وعلى هذا التغير تتغيَّر الاعضاء الصوتية فينتج عنهُ تغيُّر تدريجي في التلفظ بلسان الشعب. نعم ان كل جزء من هذه التغيرات الطارئة على اللغة الاصلية هو وحدهُ وبذاته لا يكاد يُحسّب لكن تواصل هذه التغيرات الكثيرة ولو ببطء يُلبس اللغة الاصليّة بعد بضعة اعصر صورة جديدة ينتج عنها تبيين [illegible] »

نسمع بجملة ولا نرى طحناً. فاي تغيّر احدثت في اللغة الفرنسية ام الالمانيّة ام العربية الحرب الكونيّة وحرب سنة السبعين وحوادث عديدة طرأت على العالم. واي برهان جليّ يُستنتج من كل ذلك لتبيان تغلُّب اللغة العامية على الفصيحة. وما هي الوف العوامل وكثرة الحوادث المؤثرة في تغير اللغة. فقل لي بحقك ما هذه التغيرات العديدة التي يحدثها السلم او الحرب او هل يؤثر اختلاف الاعضاء والاوتار الصوتية في كيان الالفاظ. واذا تغيَّرت لهجة النطق بالكلمة هل يتغيَّر جوهر الكلمة او معناها

فهذه اللغة الفرنسية قد مرّ على الشعب الذي يتكلّم بها احوال وحوادث مختلفة لم تمرّ على احد من الشعوب منذ ثلاثمائة سنة فلا احد يقول ان اللغة الفرنسية انحطَّت وتحوَّلت الى لغة عامية بل الجميع يقولون انها ترقّت وتحسَّنت رغماً عمَّا امتزج بها وهضمتهُ من الالفاظ الدخيلة من لغات مختلفة لحاجات علمية وفنية وتجارية وحربية. وهكذا القول عن العربية بعد ان مرّ على ترقيها الف وثمانمائة سنة

ان الذي خدع حضرة الكاتب هو استعمال العامة مع توالي الزمان الفاظاً دخيلة. فظنّ ان الدخيل يجعل اللغة الفصيحة عامية. وهذا مما لا نسلّم به. فهذه اللغة الفرنسية مثلاً فانها لغة فصيحة لها قواعدها وشواذّها وكتّابها ومؤلفاتها وهي من اوضح وارقى اللغات. ومع ذلك لا تأنف من اقتباس الفاظ جديدة من اللغات اليونانيّة واللاتينيّة والانكليزية والالمانيّة والايطاليّة ومن العربيّة ايضاً يرضى بها الادباء وتُصادق على استعمالها جمعية الآداب ولا احد يقول ان اللغة الفرنسية تحوّلت لهذا السبب الى عامية. وهكذا القول عن العربية. ولا نعني بالدخيل كل لفظة اجنبيّة تستعملها العامة لجهلها ما يقابلها في العربية كما فعلت العامة في وقت الحرب عندما استعملوا اللفظة «دُبّيه» (dépôt) للمكان الذي جمعوا فيه من يُساق الى المعسكر (١ بل نعني الالفاظ المحتاجة اليها اللغة ويستعملها الادباء بتواطؤ لانهم لم يجدوا ما يقابلها في العربية او لم يقدروا على نحت لفظة لها من جذر لفظة عربية تؤدّي معناها. فهؤلاء العلماء المشهورون بتآليفهم الذين كتبوا في العربية من عصور عديدة قد ادخلوا في اللغة الفصيحة الفاظاً عديدة اقتبسوها من اليونانية كاسطرلاب. ومن السريانية كقرقور لنوع من السفن. ومن الفارسية كعسكر وفرسخ الخ. فلم يقم احد في زمانهم او بعدهم ليلومهم ويتهمهم بانهم جعلوا اللغة عامّية

وكأنّ حضرة الكاتب يعتقد ان الالفاظ الاجنبيّة تدخل في العربية كل سنة بالمئات والالوف فتحوّل اللغة العربية من هيئة الى هيئة. فهذا قد مضى على الشعب العربي اكثر من خمسين سنة يعيش الفرنج بين ظهرانيهم وينتقل كثير منهم الى البلاد الأوربية والاميركية. فليُفحص لنا حضرته المئات من الالفاظ الاجنبيّة التي ادخلوها في العربية فأثرت في فصاحة اللغة. فهذه مجلات المقتطف والهلال والمشرق وجرائد الاهرام والمقطّم ولسان الحال والبشير وغيرها من المجلات والجرائد المعتبرة والمنتشرة في البلاد العربية والتي يطالعها الجميع من متأدبين وعامّة. فان محرري هذه النشرات يتنازلون جميع المواضيع التي يبحث فيها العلماء الاوربيون على اختلاف موادّها ويكتبون عنها. فينشئون بالعربية الفصيحة مقالات ضافية الذيول ويؤلفون الكتب المستحسنة. فلا تستعصي عليهم الالفاظ العربية لتأدية ما يخالج عقولهم من المعاني في

(١) وقد ماتت هذه اللفظة ولم تحيَ والادباء يستعيضون عنها باللفظة العربية «المستودَع»

كافة العلوم القديمة والحديثة من علم الفلسفة والالهيات الى علم الهيئة ووصف الارض والنبات والحيوان. وقد يضطرون نادرًا الى اقتباس بعض الالفاظ الاجنبية فيكسونها ثوباً عربيًّا ويخضعونها لقواعد اللغة العربية او يرصعونها في انشائهم كفصّ ياقوت في خاتم ذهب فلم يعترض احد ليقول ان لغتهم عامية او ان الالفاظ الدخيلة حوّلت لغتهم الفصيحة الى عامية

ولدينا ملاحظة نُبديها لحضرة كاتب المقالة وهي انه ناقض ذاته بذاته فيما كتب. فقد قال (في الصفحه ١٨٦ السطر ١٣) « لا بدّ لكلّ لغة عاميـة من ان تتحوّل الى لغة فصيحة بشرط ان يبلغ الشعب الناطق بها درجة من التقدم راقية » . وقال (في السطر ١٢ من الصفحة ١٨٢) « تزول اللغة الفصحى وترتقي اللغة العامية الى درجة لغة فصيحة» . وقال (في السطر ١٥ من الصفحة ١٨٦) « ان اللغـة الفصحى تترقّى ايضاً بترقي التمدن لكنّها لا تستطيع مجاراة اللغة العامية في ذلك الترقي» . فقل لي ناشدتك الله يا حضرة الكاتب اين يبقي اثر للغة العامية بعد ان ترقت الى لغة فصيحة . وكيف يمكنها بعد زوالها كعامية اذ انها اضحت فصيحة ان تجاري اللغة الفصحى بل تتغلب عليها . ان حضرة مبتكر المقالة لا يدرك تمامًا ما هـ ذا هي اللغة الفصيحة ولا ما هي اللغة الفصحى (ان كان حضرته يعـ من الفصـ . ومن هنا استدرج عقله ومغالطته . فكان يلزمه بادئ بدء ان يحدّد ويبيّن ما هي اللغة العاميّة والفصيحة والفصحى . فلو كان حدّدها في عقله وفهم ماهيتها لما كان اقدم على كتابة ما كتب . لكنه اقتبس بعض افكار كاشباح لاحت لهُ في غلس الظلام فجمعها وألّفها كما يرسم المصوّر المازح الماجن فيضمّ رأس رجل ذي لحية الى عنق فرس ويكسو بالريش الاعضاء المختلفة وينهي الصورة بجسم سمكة فيكون المجموع صورة مسخ

وما قولك في ما كتبهُ حضرة المنتصر للغة العامية اذ قال (ص ٢١١) :

« لو فرضنا وهذا محال أن هبَّ جميع ادباء العصر لمقاومة قضيّتنا فنقول ولا نبالغ ان هذه القضية في حد ذاتها لصائبة وان دخولها في حيز الوجود سيلاقي امام الشعب اللبناني اي ٩٥ من المائة فيه اعظم رواج واشدّ فلاح»

« ونضيف على ذلك ونقول اننا في غير حاجة الى من يؤيّد رأينا هذا فانّ في هذه البلاد كما قلنا آلافًا من ابناء لبنان يتصوّرون جوعًا الى آداب راقية قريبة المنال عذبة اللفظ مكتوبة بلغتهم وجميع هذه الشروط لا تجتمع الا في اللغة العامية التي نحن اول انصارها لا بالكلام الفارغ بل بامتن البراهين التاريخية واللغوية والفلسفية »

ينتصب حضرته لمحاربة ادباء العصر (١ ولا يرتاب من نيل الظفر على الجميع . ولكن كم من غازٍ أمّل الكسب والمجد ولم يجد الّا الخسارة واللحد كقول الاخطل :

ويا ربَّ غازٍ وهو يُرجى إيابُهُ وسوفَ بلاقي دونَ أوبتهِ شُغلاً

وما الطف التهمة التي يتهم بها الشعب اللبناني . لكن نسأله متى تحقّق حضرته ان الشعب اللبناني لا يفهم الّا ما يُكتب باللغة العامية . فهذا الانجيل الشريف الذي يُتلى يوميًا على مسامع الشعب فيفهمون كل معانيهِ أباللغة العاميّة كُتب ام باللغة الفصيحة اي المهذّبة . وهكذا القول عن كل الكتب التي طُبعت الى الآن لمنفعة الشعب وانتشرت في جميع الاقطار . وهذه مقالته عن اللغة العامية ألّلستاذين كتبها ام للعامة ايضاً لتفهمها وتعمل بموجبها وتشكر المنتصر لها؟ . فتراهُ كتبها باللغة الفصيحة والفصحى فلماذا ينادي بانّ العامة لا تفهمها ؟

فاذا كان انخدع حضرته بكتاب فيانوس المكتوب باللغة العامية فليعلم ان هذا الكتاب وُضع لغاية خصوصية توخّاها مؤلفه فأفاد وأجاد . اما صاحبنا كاتب المقالة عن اللغة العامية فانه قصد تعميم المبدإ وتوسيع الطريق والزام الجميع على السلوك فيهِ فاضرّ واساء . فلو كان اقتصر على اتباع طريقة فيانوس ووضع بعض الكتب باللغة العامية ليعلّم الآداب او ليصف الاخلاق بطريقة هزلية لَمَا كنّا تعرّضنا لهُ بل كنا قرّظنا كتابه ومدحناه . ولا يخفى احدًا ان اللغة العامية لا تليق بكل المواضيع فان معظمها يتطلّب الهيبة والوقار

فاذا كان يرغب حضرتهُ ان يقيت المتضوّرين جوعاً الى الآداب الراقية فليقدّم لهم خبز الحنطة لا الزوان وليكتب لهم باللغة المهذبة مقالات وروايات لذيذة كالتي حرّرها في السنين الماضية في رسالة قاب يسوع فيتهافتون على قراءتها ولا تهافت الجياع على الطعام اللذيذ . والسلام على من اتبع الهدى

---

١) « لقد كان من نصيبنا أن شهدنا تدرّج الارتقاء الادبي في هذا القطر كأننا في مشهد كبير وجماعة العلماء والادباء يرون امامنا ما ترجموهُ وألّفوه وحرّروه كتباً ورسائل ومقالات فاذا هي مثل هرم كبير رأسهُ في الحضيض وقاعدتهُ في الاوج واسعة متينة تتناول كل موضوع نظري وعملي من اعلى مذاهب الفلسفة الى ما يختصّ بزرع الحبوب وتربية المواشي» (المقتطف العدد الاول من السنة ١٩٢٥ الصفحة ٣٩) فحضرة الخوري مارون غصن يريد ان ينزل بنا من الاوج الى الحضيض . وهذا عمّا لا يقدر عليهِ ولن يتسنى لهُ

البعثة البابوية الى البلاد السوفياتيّة

بقلم حضرة الاب جان كابتُو اليسوعيّ (تابع)

٤ اوپاتورية

هي المعاملة التي عهدت الينا دولة روسيّة الاهتمام بجياعها من الاولاد في عدد ١٥،٠٠٠ مع معاملة دجانكوي وعددهم اوفر من ١٨،٠٠٠ لكنّ تأخُّر الحكومة في تجهيز قطارات السفر أجّل سفرنا الى ٢٨ آب. فركبنا السكّة في عصر ذلك النهار وجعلنا اثقالنا تحت نظارة جنديّين احرزا دفعنا لكلّ منهما ثلثة ملايين من الروبل. فخدمونا بامانة وانبساط وامّا نحن فلم نجد سوى قطار من الدرجة الرابعة كان فارغاً ونظفناه من سواه امكننا ان نرقد فيه ليلاً. وكان سير القطارات في الساعتين الاوليين بطيئاً ثم اخذت تخفّف سيرها وتتباطأ الى ان سئم الركّاب بُطئها فنزلوا يحرون معها على تمام. وكان هناك اولاد يرعون المواشي فتركوا بقرهم وجاؤوا ليجلسوا على مواطئ اقدام القطارات وبعد ان قطعوا هكذا ميلاً او ميلين كانوا ينزلون منها ويعودون الى مواشيهم. فقطعنا المسافة الفاصلة بين ثاودوسية وسمفيروبول (Simphéropol) وبالثني عشرة ساعة وهي لا تزيد عن مئة كيلومتر لنفوذ الوقود اللازم لتحريك القطارات

فنزلنا في المحطّة صباحاً وطلبنا اثقالنا فاذا هي مفقودة فأسرعتُ الى رئيس المحطّة لأطالبهُ بها فكان جوابهُ انّ القطار المقلّ لها ليس هناك وانّهُ لا علم لهُ بمجيئهِ ولا إعلان بوصوله

فامتعضنا لهذا الامر اي امتعاض وسرتُ الى دار الحكومة فعرضت الامر لرئيسها المسيو كريوف فاخذ التليفون وراجع العمّال في جانكوي فكان الجواب انّ حوائجنا هناك في قطار فُصل عن بقيّة القطارات لضعف قوّة البخار عن جرّ القطارات الحاملة الاثقال. فانتظرنا ثلثة أيام حتى حصلنا على اثقالنا. امّا الجنديّان المراقبان لها فبقيا في حراستها مرغومَين فالتزمنا ان نعوّض عليهما اجرة حراستهما في هذه المدّة

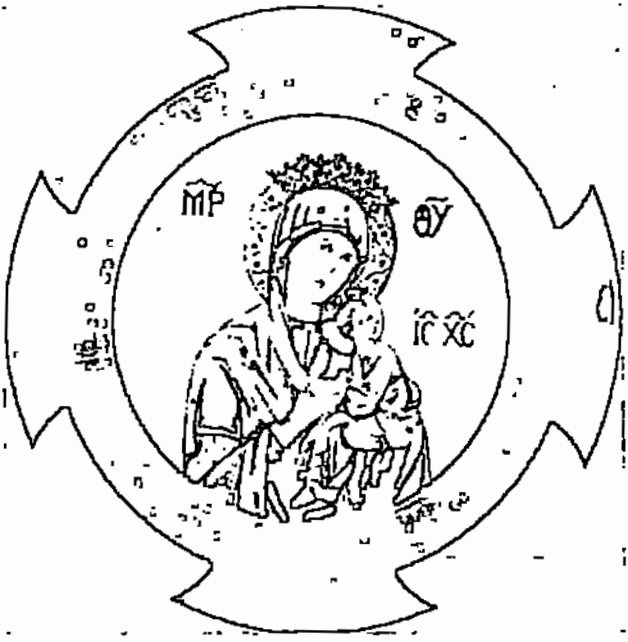

صورة بوزنطية للبتول
كانت اللجنة البابوية تعرضها في مطاعم روسية

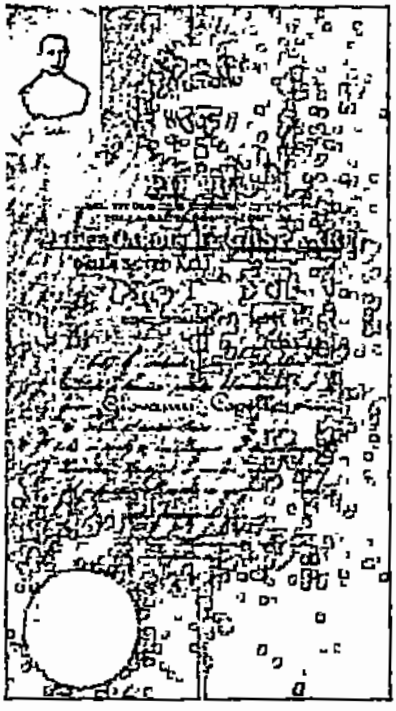

اجازة بابوية روسية
معطاة لاعضاء اللجنة المرسلة لمساعدة المنكوبين في روسية

وبينما كنّا في سيمفيروبل لحقنا ثلثة من رفقتنا راكبين السيّارات فعند بلوغهم من المحطة انفرد جنديّ باحدهم وادخلهُ غرفتهُ الخاصّة ثمّ طلب منهُ وبيدهِ سلاحهُ ان يعطيهُ ثلثين مليوناً من الروبل . فاجاب الاب : ليس معي دراهم فدعني اطلب من رفقائي . لكنّ الجنديّ كان واقفاً على الباب يتهدّدهُ فلم يجد سبيلاً الى الخروج لولا انّ رفيقيهِ وقتئذٍ مرّا بقربهِ صارخَين فخاف الجنديّ على نفسهِ وفتح الباب فنجا الاسير من شرّهِ

كان وصولنا الى اوپاتورية في سلخ شهر آب فاسرعنا الى تجهيز مطعمٍ لتوزيع المآكل على الجياع . لكنّ البعض منّا أصيبوا بعلل مختلفة حالت دون السرعة في شغلنا فشعر الواحد بوجع المعدة والآخر بالحمّى والثالث بالمغص فعرفنا ان السبب من مبيعات الروس القذرة ومياه اوپاتورية السيّئة التي يأنفها الروس غالباً ويبدلونها بالشاي

ففي ٦ ايلول كان مَطعمُنا مهيّأً مع المطبخ لاعداد المآكل وتوزيعها . فكان الاولاد يتراكضون حولنا منتظرين طعامهم سدّاً لجوعهم . فكنّا نُلاطفهم ونكلّمهم بلغتهم على قدر استطاعتنا فكانوا يتبسّمون عند سماعهم اغلاطنا ثمّ يصلحونها بلطف وقد سألت بعضهم : اتذهبون الى المدرسة ؟ — نعم — وكيف نجاحكم فيها ؟ — قليل بل عدم : لأن اكثر الاولاد يغيبون امّا لجوعهم وامّا لبرد الطقس وعريهم — ان شاء الله في العام القادم تزيدون نشاطاً ونجاحاً — في العام القادم ستفرغ المدرسة لان الحكومة فرضت على كل ولد مئة مليون روبل في الشهر وأهلنا لا يملكون شيئاً . قال هذا وأردف ملتفتاً الى ولد آخر : ولعلّ هذا يثبت على التعليم . — ولاي سبب ؟ — لانهُ يهوديّ غنيّ جدًّا

وبلغنا انّ السوفيّات فرضوا على الاهل تعليمَ اولادهم . الّا ان مدارسهم في اسوإ حال ولاسيما من جهة آدابها فان الفساد غالب عليها لانّ قسماً من معلّميها لا دين لهم يجاهرون بالزندقة والقسم الآخر مع تديّنهم قد حُتم عليهم بان يسكتوا تماماً عن الدين أمام الاولاد الذين لم يبلغ عمرهم الثاني عشرة سنة . على انّ فساد الآداب شائع خصوصاً في مدارس المدن الكبرى كبتروغراد وموسكو

وكان اثنان منّا يتجوّلان في معاملتي اوپاتورية وجانكوي ويقتبسان المعلومات عن ضحايا المجاعة فيها فيأتياننا بإفادات ينفطر لها قلبنا حزناً . قالوا انّ بعضهم يتزعون

احذيتهم ويُغلونها باالماء ليجدوا فيها شبه الطعام وكان عدد لا يحصى من الجياع يأوون الى المستشفيات متلاصقين يختلط الاصحاء بالمرضى والموتى

وكان السوفيات قد تعهّدوا بان يعطونا الادوات اللازمة لتوزيع الاطعمة الّا انّهم كانوا يتهاملون ويترفّعون ويتنطّسون ثمّ وكلوا الى احد اليهود خدمتنا فوجدناه بئس الخادم وهو يريد ان يتولّى التدبير بنفسه دوننا ويتآمر على الماكين فيستثني الواحد لانّهُ كان غنيًّا فافتقر ويُبعد شيخاً مسنًّا لانّ الطعام للاولاد فقط ثمّ وجدناهُ يوماً يختلس طحيناً فأمكنّا بعد مدّةٍ ان ننجو من خدماتهِ الثقيلة

وقد جهّزنا الاطعمة لتوزّعها على عدد ١٫٢٠٠ ولد تُعطى لهم فتاتٍ فتاتٍ تتألّف الفتة من ثلاثمائة ولد . وفي يوم افتتاحنا للتوزيع زيّنّا مطعمنا باكاليل النبات والزهور يعلوها شمار الحبر الاعظم ممثّلاً مفاتيح القديس بطرس والتاج البابويّ المثلّث وفي ادناهُ بالروسيّة : البعثة الكاثوليكيّة المرسلة للشعب الروسيّ من قبل بابا رومية

وكان المطعم يُفتح يوميًّا في الساعة الحادية عشرة فيدخل الينا الفتية والفتيات بنظام اثنين اثنين وفي يد كلّ منهم وعاء اكلهِ . فكنّا نقدّم لكلّ واحد كميّة كافية من البرغل وطاسةً من الشوكولاتا وقطعة من الخبز السميذ الطيّب . وكنا نعرض عليهم بكلام وجيز غاية بمتنا ومحبّة الحبر الروماني لاولادهِ الروسيّين فيترجم كلامنا احد الحضور

وبعد زمن قليل تعدّدت مطاعمنا في جهات مختلفة حتى بلغناها ٢٣٩ مطعماً في ناحيتي اوباتورية وجانكاوي فقط وكان عدد الاولاد الذين يقتاتون بخدمتنا نحو ٣٣٫٤٠٠ ولد

٥ كرسنودار

بعد ان تنظّم عملنا في هذهِ النواحي فكّرنا في فتح مطاعم في جهات أُخرى فكان الآباء السالازيون توجّهوا الى موسكو والرهبان الاسبانيون كانوا يلازمون العمل في روستوف . فدُعينا نحن اليسوعيين الى كوبان بلاد القوزاق في جهات البحر الاسود وتعيّنت لشغلنا مدينة كرسنودار . فركبنا مركباً روسيًّا أقلّنا في ٨ ت١ الى مدينة نوفوروسيسك (Novorossisk) . فعند نزولنا دخلنا مطعماً قريباً من

البحر لفطورنا. فاذا هو نُزُلٌ للسوفيات وجدنا على جداره صورةً شنيعة تدلُّ على همجيَّة القوم فكانوا عمدوا الى صورة بوزنطيَّة للعذراء مريم حاملة الطفل يسوع بين ذراعيها وعلى جانبيها ملاكان حاملان آلات الآلام فسخروها مشنعين فجعلوا صورة الرئيس تشرنوف بدلًا من صورة البتول وكولتشاك في مكان الطفل الالهي وفي يده رقٌ كتبوا عليه: اقتلوا الفلاحين والعمّال. ووضعوا في يدَي الملاكين رأسي يودنيتش ودَنيكين مع اسمائهما. فعرفنا بذلك بغضهم للجيش الابيض القائم لمحاربتهم والروح السيّئة المالكة على افكارهم

على انَّهم لم يتأخروا هذه الدفعة في توقيفنا. وفي صباح اليوم التالي ركبنا القطار الى كرسنودار وكنا في طريقنا نقرأ اعلانات السوفيات لنشر مبادئهم فمنها ما كان على صفائح القطارات ومنها على جدران الابنية بينها ما كُتب فيه: حاربوا الدول المتحالفة! يجب أن تحرّروا نفوسكم من ظلم ارباب الثروة والمتموّلين! ايها الوطني: هيَّا على الشغل! من لا يشتغل لا يستحقّ طعامهُ! وهلمَّ جرًّا

بنس الحالة وجدنا فيها اهالي كرسنودار فكنَّا نرى العشرات منهم مضجعين في الشمس عريانين وسخين شاحبي اللون متراكمين بعضهم على البعض كجثث الموتى ولا احد يحنُّ عليهم

وكان بقرب المحطَّة سيَّارتان ارسلها رئيس السوفيات لنقلنا الى احد المطاعم الكبرى التي كانوا اغتصبوها من اهلها لزعمهم انَّ كافَّة الابنية والاموال تخصُّ الدولة دون الافراد فجعلوا ذلك المطعم في خدمتنا

وكانت اوَّل زيارتنا لاسواق المدينة لنقف فيها على احوال الاهلين فاذا هناك قومٌ من المنكوبين البؤساء يعرضون على التجار بقايا مالهم وأثاثهم ليعتاضوا عنها قليلًا من الطعام. فهذا يقدّم زوجاً من الجوارب وذاك قميصاً والآخر ثوباً ومعظمهم لابسون الأسمال الرثَّة يجاهدون الجهاد الاخير مع الحياة

وفي سوق آخر يبيع الاغنياء ما كان لديهم من الفراء والساعات والمصاغات والكتب وآنية الموائد وهم ساكتون جامدون ينتظرون دون حراك ان يُحسن عليهم احد المشترين لينجوا بثمن تلك المبيعات من عذاب الجوع

على انَّ هذه الاحوال السيّئة كلا شيء بالنسبة الى ما في داخل البيوت من الشقاء

والفقر المدقع . وكانت النساء اللواتي نرسلهنَّ لنقف على حاجات اصحابها يَعُدْنَ الينا وامارات الكآبة على وجوههنَّ فيقلن لنا : اننا ما كنَّا لنظنّ ان اوجاع الناس يمكنها ان تبلغ هذا المبلغ من العدم والشقاء . وهذه بعض الامثال الدالّة على قولنا

اتتنا يوماً احدى السيدات التي كانت تتباهى عزًّا في نوادي باريس ولندن وهي اليوم تسير حافيةً في الازقّة وقد سلبها البولشفيك كلّ اموالها وهي تأوي اليوم في الليل الى بيت امرأة محسنة اليها . فكان قدومها علينا مساء في الساعة الثامنة والنصف . فدعوتها الى الدخول فاعتذرت . فألححتُ عليها فقالت : اني استحي ان يراني احد في نور الضوء لسبب ثيابي الرثّة . فخرجتُ اليها . فالتمستْ مني ثياباً تقيها من برد الليل لأنها رأت نفسها في الليلة الماضية على وشك الموت برداً . فأعطيتها قسماً من ثيابي . فعادت بعد أيام شاكرةً لي وقالت أنها تغرّبت على فتيّتي !

اخبرني بعضهم انَّ في المدينة عيلة احد كبار الجيش القدماء قتيل الحرب كانت امرأتهُ ملقاةً في الفراش فذهبتُ لعيادتها فاذا هي وخمسة من اولادها في غرفة صغيرة . فرأيت في صدر الغرفة صورة العذراء امامها سراجٌ منير . وكان هناك فراشٌ مضّجع فيهِ ابنها البكر وعمرهُ ١٧ سنة مصاب بمرض عضال . والابن الثاني في سنّ الخامسة عشرة دخل صانعاً في احد المعامل حيث تتراكم عليهِ الاشغال المضنكة من الصباح الى الساعة الثامنة ليلاً فلا يربح في الشهر اكثر من اربعين مليوناً من الروبل (اعني ٤٠ فرنكاً) . وكانت الامّ طريحة الفراش . لما قاسَتهُ من التعب المضنك في سبيل عيلتها وكان بين ذراعيها ابنها الصغير وعمرهُ ثلاث سنوات بادية على وجههِ امارات الموت رأسهُ على صدر امّهِ لا يستطيع ان يرفعهُ لضعفهِ فمات بعد قليل . فاسرعنا الى مساعدة هذه العيلة البائسة

ووجدنا في بيت آخر ارملةَ احد الضبّاط غائصةً في الاوجاع والاحزان اضطرّت ان تسلّم ابنتها الصغير الى بعض المحسنين اذ لم تجد ما تقوتهُ بهِ وهي تقضي صُلب نهارها في كناسة وتنظيف البيوت لتعيش فقالت لنا : لو شئتُ لعشتُ بأرغد عيش مع المومسات لكني افضل الفقر المدقع . ومع انها لم تكتسِ إلّا بجاجتها من الثياب تعرّت عن فروة دافئة لتُحسن بها على امرأة افقر منها فأصبحت اليوم تقاسي شدائد البرد القارس

فهذه امثلة تبيّن ما تكابدهُ الوف من الأمهات والزوجات اللواتي فقدن رجالهنّ فكنّا لا نذّخر وسعاً لتلطيف اوجاعهنّ وتعزيز فضيلتهنّ وايمانهنّ

ثمّ طلبنا سيّارةً لزور المستشفيات والمياتم والمآوي . وكان السوفيات انشأوا في كَسْنودار مدرسةً طبيّة وألحقوا بها مستشفى جراحيا . فابتدأنا بزيارته فاذا الطبيب الجرّاح المندوب الى ادارتها من ذوي الفضل والادب لم يسَع السوفيات ان يجعلوا مكانهُ غيرهُ من ذويهم . ففتح لنا كلّ غرف المستشفى فوجدناها غاية في الترتيب والنظام . وكان جعل في قاعة العمليّات الجراحيّة ايقونة السيّد المسيح في آلامهِ ليحتمل الجرحى آلامهم واذا تعجّلهم الموت ماتوا على ايمانهم . فأثنينا كل الثناء على هذا الرجل الصالح الذي لم يشكُ سوى امر واحد قلّة الوسائط والمال لمعالجة المرضى

ثم دخلنا معملاً لاستحضار لقائح التيفوس نهبهُ البولشفيك في ايّام الفوضى وتركوهُ مهملاً ثمّ جعلوهُ مأوًى لألف وخمسمائة من المنكوبين الذين قصدوا المدينة لسبب المعاش . يعجز القلم عن وصف ما وجدناهُ في هؤلاء من البؤس والقذارة كدنا نغطس لكراهة روائح ذلك المأوى . امّا سكّانه فاشبه بجثث الموتى منهم بالبشر لا يقاسونهُ من منتهى المجاعة والامراض . تدلُّ عيونهم الناعسة وافواههم المتفتّحة على بلادة وحمق . اولادهم اسوأهم حالاً تراهم متكدّسين على الحضيض لا يكاد يستر جسمهم الّا اثواب بالية رثّة يُستشفّ من ورائها منظر اعضائهم الهزيلة الناحلة المنبثة بقرب انحلالها وفنائها

ثمّ سرنا الى دار اخرى جمعوا فيها نحو مئة من الاحداث وجدناهم يلعبون فسُررنا لفرحهم ونشاطهم واقبلوا يسلّمون علينا ورأينا مترلهم نظيفاً الّا انهُ غاية في الفقر . فوافق منامهم مكسّرة لا فراش لهم الّا اسرّة من الحديد خالية من المطارح والبساطات ينام ثلثة اولاد على سريرين يغطّيهم لحافٌ واحد يتكشف غالباً عن اثنين منهم فيقاسيان زمهرير البرد طول ليلهم

وفي اثناء ذلك جاء الى كَسْنودار وئيس السوفيات المقيم في كوبان فذهبنا للسلام عليهِ فقصّ علينا ما يعانيهِ اهل معاملتهِ من آلام المجاعة ما أسال دموعنا رحمةً عليهم . ومما قالهُ انّ في اقليم كوبان ثلثة ملايين من السكّان وانّ الثلثين منهم مصابون بالحميات الخبيثة والتيفوس والجرَب وليس من دواء لعلاجهم . فألحّ علينا بان نطلب

برقياً من الفاتيكان ادويةً . فارسلنا برقيةً للحال الى الحبر الاعظم نعلمهُ بحاجة هؤلاء المنكوبين فكان الجواب ان قداستهُ امر بإرسال ادوية بثمن مليون ليرة ايطاليَّة . فشكرنا اربابُ الحكومة على هذه المنَّة واخذوا يعاملوننا بلطف وانبساط وامكننا هكذا ان نهتمّ بنوع خاصّ بالكاثوليك الذين هناك وكان خوفهم من السوفيات ضعضع قواهم وكسر اعضادهم

وكنا نودّ ان نتقرَّب من الاكليروس الروسي فنزور اسقف المدينة ونقدّم لهُ ولكنيسته خدَمنا ليستفيدوا من وسائل العاش التي لدينا لكننا أجلنا ذلك الى الوقت المناسب لاسيما اذ عرفنا ما يشيعونهُ عنا من الاخبار الكاذبة فيزعمون اننا اتينا لندعو المنفصلين عنا الى طاعة الحبر الروماني ليستعبدهم ويضغط عليهم بسيطرتهِ . وكان غيرهم يقولون اننا نريد تشييد المدارس والكنائس والاديرة الكاثوليكيَّة . وكان الاسقف عينهُ وكهنتهُ يحذّرون الناس من مخالطتنا ومن الانخداع باقوالنا . لكنّ هذه الاشاعات لم تؤثر في الملتجئين الينا

أما نحن فبقينا طول زمن اقامتنا بينهم نتصرَّف بكل نزاهة وسذاجة لا نفتح معهم مسئلةً دينيَّة إلَّا اذا بادَهونا بها نجيبهم متحايدين عن كل جدال . وكنا غالباً نكتفي بان نرفع نظر الوافدين الى امور الآخرة ليصبروا على اوجاعهم ويجعلوا ثقتهم بالله وبالعذراء التي يكرمونها اكراماً جزيلاً . واذا ذكرنا الحبر الاعظم لا نذكر سوى حنانهِ على الشعب الروسي وتمنيه ان يحظى بالسلام والراحة هذه كانت خطَّتنا . على اننا لم نكن لننسى خلاص هؤلاء المساكين فنطلب من الربّ ان ينير عقولهم ويردّهم الى الحظيرة البطرسيَّة ليتمّ فيهم قول الربّ ان تكون الرعيَّة واحدة والراعي واحداً . قرَّب الله ايام وحدة القلوب بوحدة الايمان

(لها بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

L'Archimandrite Denis Kfoury O.B.: L'Exemption des Congrégations Basiliennes Melkites, *Beyrouth*, 1924, p. 11

عصمة الرهبانيّات الباسيليّة الملكيّة

يتّضح من الحقّ القانوني انّ الرهبانيّات اللاتينيّة تتمتّع في الكنيسة الكاثوليكيّة بامتياز العصمة عن سلطة الاساقفة في امورٍ محدّدة تختلف بالكم والكيف حسب المعافيات الممنوحة لها من الحبر الروماني. امّا الرهبانيّات الشرقيّة فلها عصمتها الخاصّة المقرّرة في قوانينها المثبتة من الكرسيّ الرسولي. ومنها الرهبانيّة الباسيليّة الملكيّة. فانّ عصمتها عن السلطة البطريركيّة والاسقفيّة مدوّنة في براءة بندكتوس الرابع عشر في تاريخ ١١ حزيران ١٧٥٧ التي بدؤها «Ecclesiæ Catholicæ regimini» ثم اعقبها ببراءة اخرى في ١٢ آب وجّهها الى غبطة السيّد البطريرك والساقفة الطائفة ورئيس الرهبانيّة العام فاليهما وحدهما يجب الرجوع في تعريف وتحديد عصمتها. وهو الكرّاس الذي خصّهُ حضرة الارشمندريت ديونيسيوس كفوري لهذه المسألة بيّن الامر استنادًا الى قوانينهم ما لم يصدر في تحويرها رقيم آخر لحضرها او لتوسيعها. ي. م

Edouard Cuq: Les Lois Hittites. 1 vol.in-8°,1924,Paris, Librairie de la Société du Recueil Sirey.Prix 8 f.

شرائع الحثّيين

في السنة ١٩٠٦ وجد الالمان في اثناء حفرياتهم التي أجروها شرقي انقرة على مسافة ١٥٤ كيلومترًا منها في مكان يُدعى بوغازكوي مكتبة الملوك الحثّيين محفورة في نحو عشرة آلاف قطعة من الآجُرّ بالخطّ المسماري ومعظمها في لغة الحثّيين فكان وجودها داعيًا لكثيرين من العلماء الى درس هذه اللغة المجهولة الى عهدنا. وقد نال بينهم شهرةً واسعة العلّامة التشيكي هرزني (M. Hrozni) الذي سُرّ في هذه الاشهر الاخيرة لوجوده في مكتبتنا الشرقيّة ما يحتاج اليه في ابحاثه الاثريّة. وقد بلغ هذا الاثري الى حلّ رموز اللغة الحثّيّة بواسطة كتابات اثريّة مكتوبة بالحرف الاشوري في اللغتين البابليّة والحثّيّة ثمّ خصّ عملهُ بدرس الشرائع الحثّيّة

لاختصاصه بالعلوم الفقهية وهو احد معلميها في جامعة باريس . فأحرز له شهرة كبيرة بتفسيره لهذه الشرائع . وها قد اوقفنا اليوم على عمله الاثري الالماني الشهير ادورد كوك فبيّن عظم الفوائد الناجمة عن مقابلة المسيو هرزفي بين شرائع الحثيين وما يوافقها في شرائع الامم القديمة

A. Joffre : Le Mandat de la France sur la Syrie et le Grand Liban. 1 vol, gr. 8°, Lyon, Imprimerie Bascou, 1924 Prix 8f, 72

انتداب فرنسة على سورية ولبنان الكبير

مسيو جوفر احد دكاترة الحقوق والمحامين في مجلس الاستئناف في ليون . فقد خصّ كتابهُ هذا لدرس انتداب فرنسة على سوريّة ولبنان الكبير . فانهُ بعد مقدّمات مفيدة يبحث فيها عن اصل هذا الانتداب وما فهمهُ مخترعوهُ بوضعهِ يقابل بين الانتداب المذكور والحماية فلا يجد بينهما اختلافاً كبيراً وذلك بطريقة إثباتها ومدّة دوامها وتحقيقها . وبها تنحصر سلطة المنتدَب وتبقى حقوق البلاد المنتدبة مصونةً لا ينتهك المنتدَب حرمتها . وكانت الدول سابقاً هي تقرّر حدود هذه السلطة في تقارير رسميّة يمضيها ممثلوها . فان تغيّرت اليوم الالفاظ لم تتغيّر الاحوال فانّ مراقبي سلطة الانتداب في الحاضر هي الدول العديدة الممثّلة في جمعيّة الامم تقوم في تقرير انتداب فرنسة على سوريّة مقام الدول السبع التي كانت قبل الحرب ضامنة لحقوق لبنان وبذلك تزيد هذه الحقوق ثباتاً . وقد بيّن المسيو جوفر كل هذه المعلومات بوضوح عظيم وترتيب في المواد يزيل كلّ التباس ويدلّ على سعة معارف المؤلف في الدساتير الدوليّة

ج . ل

Comte R. de Gontaut-Biron. D'Angora a Lausanne: Les Etapes d'une déchéance. 1 *vol in*-16 *avec* 3 *cartes*, 1924, *Paris, Librairie Plon, Prix* 10 *f*.

من انقره الى لوزان او مراحل الهبوط

كان الكونت دي غونتو بيرون سبق واستحقّ شكرنا بكتابهِ المعنون « كيف احتلّت فرنسة سوريّة » الذي بيّن فيهِ الاغلاط السياسيّة التي وقعت فيها فرنسة والتي تظهر كلّ يوم عواقبها المشئومة . اما هذا الكتاب الجديد فانه يفصّل فيها احوال

الشرق ويكشف بعض صحائفه السوداء التي من شأنها ان تبعث في العموم النفور والحمية للدفاع عن مصالح فرنسة بدلاً من تضحيتها بسياسة عوجاء كاذبة . وكثير من المداولات الدولية والمفاوضات الرسمية بقيت محجوبة لم يطلع عليها إلا بعض الافراد فجاء هذا الكتاب مميطاً لكل حجاب ليقف الرأي العام على ما تأتيه الحكومة الديموقراطية من الاغلاط ج. ل

Général Brémond: L'Islam et les Questions Musulmanes au point de vue français. 1 *vol. in*-12, 1924, *Paris. Ch. Lavauzelle. Prix* 5 *f*°

الاسلام والمسائل الاسلامية في نظر الفرنسويين

معلوم ان الجنرال بريمون كان متولياً قيادة الجيوش الفرنسوية في الحجاز وقيليقية . وهذه محاضرة ألقاها في باريس اختصر فيها وصف احوال الاسلام في عهدنا والمسائل الاسلامية التي يحتاج الفرنسويون الى معرفتها . ومما يبينهُ في هذه المحاضرة الاضرار الناجمة من الفرض على بعض المستعمرات الافريقية غير العربية ان تتعلم اللغة والكتابة العربيتين لمخابراتها الرسمية بدلاً من لغاتها الوطنية . وهو يعرض لعموم الدول الاوربية أن تجري ازاء الاسلام على خطة واحدة لما بينها من التضامن

Un Africain: Manuel de politique musulmane. 1 *vol. in*-16, *Paris Éditions Bossard*, 1925, *Prix* 7 f, 50

دستور السياسة الاسلامية

هذا الكتاب الصغير وضعهُ احد كبار الضباط الفرنسويين الذي خدم دولتهُ زمناً طويلاً في افريقية الشمالية . نندد فيه بمنشورات بعض الكتبة الذين مسخوا باوصافهم الخيالية وجه الاسلام فتبعوا فيه اوهامهم وجاروا عن الحقيقة (Islamomanie) كبيار لوتي وفارار (Farrère) ومادام غوليس (Mme B. G. Gaulis). ومما يقولهُ هناك ان السياسة التي ينتظرها المسلمون في اوطانهم هي سياسة الأمن والاعتدال والنظام والشدة في قهر المخالفين . ومن الاخطار التي يلفت اليها نظر الحكومة التعليم اللاديني إشاعة بعض الاوهام السياسية العصرية التي لا تتطبق مع احوالهم . والمؤلف ممن يرغبون المحالفة مع تركية ه ل

Capitaine de Vaisseau A. F. A. Carpenter de la Marine britannique. L'Embouteillage de Zeebrugge. 1 *vol. in*-8° *avec* 18 *gravures et une carte hors texte*, 1925, *Paris, Payot, Prix* 10 *f*°

حصر الاسطول الالماني في تيبروج

في مبادي السنة ١٩١٨ كانت الطرادات الالمانية وغواصاتها تتجول في البحار

فتدمّر سفن الحلفاء فلا تبقي ولا تذر. وكان مركز معظم اسطولها في مرافئ بلجكة في تسيبروج وفي بروج كان يجتمع فيهما كلّ يوم نحو ١٨ غوّاصة و ٢٥ طرّادًا. فرأت النقابة البحريّة البريطانيّة انهُ من الممكن حَصْرها في مرافئها ومَنْعها من الخروج الى البحر فاستعدّت للامر استعدادًا سرّيًّا ولم تزل تستحضر لهُ كلّ لوازمهِ حتى اخرجتهُ الى حيّز الوجود. وتفاصيل هذه البعثة التي تولّت حَبْس قوّات المانية البحريّة هي مدوّنة في هذا الكتاب بقلم احد ضبّاط بارجة ڤنديكاتف (Vindicative) الذي قام بهذا العمل الجليل وهو من الطف ما أتتهُ الى يومنا النقابات البحريّة

Motefindt (Dr Hugo): Zur Geschichte der Barttracht in alten Orient. 1 *vol.*, 8°, 1923, *Leipzig, Dieterische Verlagsbuchhandlung*

تاريخ الالتحاء في الشرق القديم

للالتحاء اخبار واسعة بين قدماء الشعوب جمعها الدكتور الالماني موتفند مصرّحًا في اوّل كتابهِ بانّ هذا الموضوع غنيٌّ جدًّا. وقد قسم تأليفهُ الى خمسة ابواب بحث فيها اوّلًا عن الوجوه الحليقة ثمّ عن لحى العارضَيْن ثمّ اللحية الكاملة ثمّ اللحية الاشوريّة ثمّ الشوارب بلا لحية. ويقسم كلّ باب الى فصول مختلفة على اختلاف الشعوب الشرقيّة وما حدث ايضاً من ازياء اللحى في كلّ شعب على توالي الزمان. ومما يلوح من هذه الابحاث انّ اهل سوريّة وفلسطين ثبتوا على الإلتحاء الكامل قديمًا. امّا المصريّون والبابليّون فانهم كانوا يحلقون لحاهم وشواربهم معًا. وكان للاشوريين زيٌّ آخر فيتّخذون اللحاء الصغيرة او المدرّجة وذلك بين الالفين الاول والثاني قبل المسيح. وفي آخر الكتاب صور تلك اللحى منقولة عن الآثار القديمة ج. ل

S. Th. Lascaris: La politique extérieure de la Grèce avant et après le Congrès de Berlin, 1875-1881 1 *vol. in*-8°, 1924, *Paris, Editions Bossard. Prix* 15 *f*

سياسة اليونان الخارجيّة قبل مؤتمر برلين وبعده

انّ الست السنين التي حاربت فيها الدولُ البلقانيّة السلطنةَ العثمانيّة من ١٨٧٥ الى ١٨٨١ بقيت اليونان جامدةً لا تلبّي دعوة شقيقاتها لمحاربة تركيّة وذلك لسوء حال ماليّتها ولضعف قوّاتها البرّيّة والبحريّة. ولمّا عُقد مؤتمر برلين لم يُدعَ لها اليونان.

الّا انّ نائب فرنسة ارضى رفقتهُ بان يدعوا وكيلًا اليونان عند تحديد الثغور التركيَّة المتاخمة لليونان . فحضرها احدهم ونال من ارباب المؤتمر معظم المنى . تسالية بعد مخابرات طويلة كان يطمع فيها اليونان ببلاد ابيروس ايضاً . وقد عرض المسيو اسكاريس مؤلف هذا الكتاب تطوّرات ذلك المؤتمر الشهير وما وقع فيه من اختلاف الآراء بين ممثلي الدول واحسنَ خصوصاً في وصف موقف اليونان وفوزهم بما لم يحلموا به مع الامل بالحصول على ما هو اوفر

P. G. Heurgren. La poste dans les temps anciens et modernes. 1 *vol.*, 8° *illustré*, *Stockholm*, *C. E. Fritzes*, 1924

البريد في الازمنة القديمة والحديثة

وقع في السنة الماضية التذكار المئوي لانشاء الاتحاد البريدي العام . فخصَّت المانية لذلك موسماً عظيماً نشرت فيه طابعاً بريدياً خصوصياً يمثل الدكتور استفان رئيس ادارة البريد الالماني الذائع الشهرة . وقد جارتها دولة اسوج فنشرت الكتاب المذكور آنفاً جُمع فيه معلومات شتى بخصوص البريد وما استفادت منهُ الدول والمدن الجميلة وقد خُصّ باب لوصف البريد الجوي بالطيران في الحرب وبعدها مع قائمة لمحطات البريد الجوّي في السنة ١٩٢٣ . وقد بسط مؤلفهُ كلّ ذلك باللغة الافرنسيَّة وضمّن كتابهُ تصاوير جميلة تدلّ على حسن ذوقهِ وترقّي بلادهِ في الفنون ج . ل

Général Chapel: 1° (La T. S. F. et l'Ether. 2°) La Météorologie de demain. *Conférences tenues, le 7 Nov.* 1923 *et le* 17 *Mai* 1924. *Paris, Gauthier-Villars, brochées., in*-16

محاضرتان في التلغرافية اللاسلكيَّة والاثير ثم في الاثار الجويَّة غدًا

بيَّن الجنرال شابل في محاضرتهِ الاولى انّ الاثير لدقّتهِ العظيمة وتخلخلهِ ترتجّ ذرّاتهُ لادنى حركة فيحصل من ذلك ارتجاجات تؤثر في توازن الهواء الجوّ وتعلّل مظاهر عديدة كان العلماء لا يمكنهم تعليلها كبعض اهتزازات غير قانونيَّة تحصل في التلغراف اللاسلكي وبعض الانفجارات الفاجئة في مستودعات البارود واتقاد النار في الاحراج . فيثبت المؤلف انّ حركات الاثير كافية لشرح هذه الحوادث الغريبة لانّ كرتنا الارضيَّة محاطةٌ بل غائصة في الاثير الذي يتكهرب بحركة الارض واهتزازات الجوّ فيتّصف بخواصّ جديدة . اما المحاضرة الثانية فانّ الجنرال بحث فيها عن المواد الفلكيَّة المتناثرة

والتي تصادم ارضنا وتلتصق بها وهي بتمادي الزمان ستصبح آفةً لأرضنا فمن الواجب على علماء الآثار الجوّيّة ان يرصدوها ويتلافوا اضرارها

K. Cebrian: Geschichte d. Kartographie. I Altertum, mit einem Anhang (Ptolemaios als Kartograph) von J. Fischer. s. j. 1 *vol.* 8°, *Gotha, J. Perthes*, 1825, *Prix*, 1 *Mark* 55

تاريخ رسم الخرائط

لم يحاول حتى الآن الجغرافيّون ان يكتبوا تاريخ رسم الخرائط فاراد المرسيريان صاحب هذا الكتاب ان يسدّ هذه الثلمة فجمع في كتابهِ ما يُعرَف في القدم من رسم الخرائط في مصر وبين الشعوب الساميّة وفي اليونان الى زمن ايراتوستان وانشاء المدرسة الاسكندريّة وهذا القسم قد نشرتهُ المجلة الجغرافيّة بوستين (Geographische Bausteine) . وفي آخرهِ فصل في بيان ما لبطليموس الكلوذي من الفضل في رسم الخرائط كتبهُ اليسوعي فيشر وهو ايضاً الساعي الى نشر كتاب المسيو سيريان الذي ذهب ضحيّة الحرب الاخيرة فقُتل في محاربة الروس ج. ل

Indexes to the Mufaḍḍaliyât compiled by A. L. Bevan, *Gibb Memorial new Series III*, 1924

فهارس المفضّليات

سبق لنا ذكر الطبعة الجميلة من المفضّليات وشرحها التي نشرها في مطبعتنا الكاثوليكيّة الطيّب الذكر السيّر شرل جس ليّال فحال موتهُ دون طبع فهارسهِ وها قد قام بهذا العمل الجليل المستشرق بيڤان فانجزهُ في ٣٦٠ صفحة كلُّها فوائد تحتوي على اربع فهارس اوّلها فهرس القصائد الواردة في المفضّليات مع الدلالة على بحرها. والثاني فهرس اعلام الاشخاص والقبائل . والثالث اعلام الامكنة . والرابع جدول الالفاظ المشروحة في الكتاب . ويُختم بافادات جديدة واصلاح اغلاط . فترى الفرق العظيم بين مطبوعات المستشرقين الفخمة ومطبوعاتنا الشرقيّة السقيمة . وكم نحن في حاجة ماسّة للاقتداء بهم ل. ش

تقويم المرآة لسنة ١٩٢٥

مجموعة سنويّة بادارة خليل زينيه

طُبع بمطبعة المقتطف والمقطّم بمصر (ص ٤٠٠)

قد بلغ فنّ التقاويم في اوربّة مبلغاً معتبراً. ومنهم من جعلها شبه دائرة لكل المعارف. وها هوذا تقويم يجاريها في مصر صنّفهُ احد كتبتنا المجيدين خليل افندي زينيه ضمّنهُ ضروباً من الفوائد في كلّ صنف من فكاهات ومتفرّقات جدّية وهزليّة حتى الخرافيّة ايضاً مثل الفراسة ومشاورة البخت. واحسن ما فيهِ قسمهُ التاريخي في مصر والسودان وسوريّة ولبنان وجزيرة العرب ومراكش. مع عدد عديد من التصاوير الجميلة فنهنئ ناشر هذه التحفة الفنيّة ونحضّ القرّاء على اقتنائها

صرخة الى القضاء على القضاء

للمحامي نجيب خلف

طُبع في بيروت (مصحة العلم) سنة ١٩٢٤ (ص ٥٠)

انّ من الصرخات ما له تأثير ونفوذ في الآذان حتى الوَتيرة. وهذه صرخة من جنسها بصوت سام رفع عقيرتهُ اوّلاً ثم ثانياً الى المحاكم وكأن مسامع القضاة لم تُصغِ اليهِ. فعسى هذه الصرخة توقظ النائمين من سِنتهم وتمنح العدل حقوقهُ

ل. ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ — منشور بطريركي في آفة العصر ١٩٢٥ — هو المنشور النفيس الذي وجّههُ غبطة سيّد لبنان البطريرك الماروني مار الياس حويك الى طائفتهِ الكريمة يحذّرهم فيهِ من روح الكفر ويحضّهم على حفظ كنز ايمان اجدادهم الثمين (طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٥ ص ١٩)

٢ — حياة الطرباوي كوتر لنكر او عجائب الشاية الالهيّة — بقلم الخوري مارون غصن. هي الترجمة البديعة التي ظهرت في عدد كانون الثاني في المشرق. طُبعت على حدة. تُطلب من المؤلف وثمنها عشرة غروش

٣ — صورة الخطاب — الذي القاهُ في ٢١ شباط ١٩٢٤ حضرة المونسينيور برلس السمعاني في نادي الكليّة البطريركيّة الفلسطينيّة في فرصة التذكار السنوي الثالث لوفاة الكردينال فرأري مؤسس الجمعيّة المعروفة باسمهِ. طُبع في مطبعة الآباء الفرنسيسيين في اورشليم ١٩٢٤ ص ١٠ مع عدّة تصاوير

٤ ← عقود الجمان في عيد لبنان ← قصيدة رفعها الى غبطة البطريرك مار الياس بطرس الحويك البردیوط بطرس حبيقة بنسبة العيد السادس والعشرين لارتقائه الى السدّة البطريركية في ٦ كانون الثاني ١٩٢٥ (طبع في المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٥)

٥ ← روزنامة فيتل ← تقويم سنوي لطيف للعام ١٩٢٥ قدّمهُ لمجلة المشرق جناب الاجزائي البارع يوسف افندي الجميّل يحتوي مدّة معلومات وفكاهات طبيّة وتصاوير جدّيّة وهزليّة بخصوص مياه فيتل المعدنيّة في فرنسة . يصحبهُ اعلان يفيد عن مستحضرات طبيّة جديدة في صيدليّته العامرة (طريق النهر)

٦ ← الديوان الشهير في السؤالات والجوازير ← هو كرّاس في ٣٠ صفحة بقلم لطف الله البكاسيني اللبناني يفكّهُ فيهِ خواطر محبّي المعمّيات والالغاز باللغة العاميّة الدارجة

٧ ← الديوان الحالّ في حلّ الجوازير والامثال ← (في ٣٢ صفحة) . للمؤلف عينه تابع للكتاب المذكور . يحل فيهِ المعمّيات السابقة الّا البعض منها عمّا يُطلب حلّها مع وضع جائزة لمن يحلّها . وفي اوّل هذا الكرّاس امثال في ٢٢ باباً دعا كلّ باب مزمورًا (كذا!!)

٨ ← The Beginnings of Arabic Lexicography, *by F. Krenkow* ← هذه مقالة ممتعة كتبها بالانكليزيّة صديقنا المستشرق فريتس كرنكوف لخصّ فيها تاريخ المعاجم العربيّة الاولى التي سبقت صحاح الجوهري مباشرةً بلنويّات ابي الاسود الدؤلي وكتاب العين للخليل (ص ١٦)

شذرات

﴿المكتبة الامبروسيّة ومديرها الجديد﴾ المكتبة الامبروسيّة في ميلانو من أجلّ مكاتب ايطالية بعد مكتبة الفاتيكان فيها من المخطوطات العربيّة والشرقيّة تآليف ينقاطر الى درسها العلماء من كل البلاد . وفي هذه المكتبة اشتهر قداسة الحبر الاعظم بيوس الخامس عشر قبل ان تُعهَد اليهِ نظارة مكتبة الفاتيكان . وقد عرفنا بالمسرّة ان استاذ الاداب اللاتينيّة في جامعة ميلانو الكاثوليكيّة المستشرق الدكتور جوآني غلبياني أتمّ حديثاً حارساً لها فأعطي القوس باريها . وحضرتهُ من ذوي المعارف الواسعة في المطبوعات والمخطوطات فلنا الامل انهُ يكون خير خلف لخير سلف .

﴿نشرة المكتب الطبي الفرنسوي السنويّة﴾ وقفنا على هذه النشرة للسنة الثامنة والثلاثين المدرسيّة التي قضاها هذا المكتب من تشرين الثاني ١٩٢٣ الى حزيران ١٩٢٤ . فكان عدد المتخرّجين فيهِ في فروعهِ الاربعة : الطبّ والصيدليّة وعلاج الاسنان وتهذيب القوابل مائتين واثنين . وقد نال في هذه المدّة شهادات الدكتوريّة

٤ ← عقود الجمان في عيد لبنان ← قصيدة رفعها الى غبطة البطريرك مار الياس بطرس الحويك البردیوط بطرس حبيقة بنسبة العيد السادس والعشرين لارتقائه الى السدّة البطريركية في ٦ كانون الثاني ١٩٢٥ (طبع في المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٥)

٥ ← روزنامة فيتل ← تقويم سنوي لطيف للعام ١٩٢٥ قدّمهُ لمجلة المشرق جناب الاجزائي البارع يوسف افندي الجميّل يحتوي مدّة معلومات وفكاهات طبيّة وتصاوير جدّيّة وهزليّة بخصوص مياه فيتل المعدنيّة في فرنسة . يصحبهُ اعلان يفيد عن مستحضرات طبيّة جديدة في صيدليّته العامرة (طريق النهر)

٦ ← الديوان الشهير في السؤالات والجوازير ← هو كرّاس في ٣٠ صفحة بقلم لطف الله البكاسيني اللبناني يفكّهُ فيهِ خواطر محبّي المعمّيات والالغاز باللغة العاميّة الدارجة

٧ ← الديوان الحالّ في حلّ الجوازير والامثال ← (في ٣٢ صفحة) . للمؤلف عينه تابع للكتاب المذكور . يحل فيهِ المعمّيات السابقة الّا البعض منها عمّا يُطلب حلّها مع وضع جائزة لمن يحلّها . وفي اوّل هذا الكرّاس امثال في ٢٢ باباً دعا كلّ باب مزمورًا (كذا!!)

٨ ← The Beginnings of Arabic Lexicography, *by F. Krenkow* ← هذه مقالة ممتعة كتبها بالانكليزيّة صديقنا المستشرق فريتس كرنكوف لخصّ فيها تاريخ المعاجم العربيّة الاولى التي سبقت صحاح الجوهري مباشرةً بلنويّات ابي الاسود الدؤلي وكتاب العين للخليل (ص ١٦)

شذرات

﴿المكتبة الامبروسيّة ومديرها الجديد﴾ المكتبة الامبروسيّة في ميلانو من أجلّ مكاتب ايطالية بعد مكتبة الفاتيكان فيها من المخطوطات العربيّة والشرقيّة تآليف ينقاطر الى درسها العلماء من كل البلاد . وفي هذه المكتبة اشتهر قداسة الحبر الاعظم بيوس الخامس عشر قبل ان تُعهَد اليهِ نظارة مكتبة الفاتيكان . وقد عرفنا بالمسرّة ان استاذ الاداب اللاتينيّة في جامعة ميلانو الكاثوليكيّة المستشرق الدكتور جوآني غلبياني أتمّ حديثاً حارساً لها فأعطي القوس باريها . وحضرتهُ من ذوي المعارف الواسعة في المطبوعات والمخطوطات فلنا الامل انهُ يكون خير خلف لخير سلف .

﴿نشرة المكتب الطبي الفرنسوي السنويّة﴾ وقفنا على هذه النشرة للسنة الثامنة والثلاثين المدرسيّة التي قضاها هذا المكتب من تشرين الثاني ١٩٢٣ الى حزيران ١٩٢٤ . فكان عدد المتخرّجين فيهِ في فروعهِ الاربعة : الطبّ والصيدليّة وعلاج الاسنان وتهذيب القوابل مائتين واثنين . وقد نال في هذه المدّة شهادات الدكتوريّة

في الطب ٢٨ تلميذاً وفي الصيدلية ٣ وفي طبابة الاسنان ٦ وفي اجازة القوابل ٩

﴿ نزاع محفلي صنين والسلام ﴾ اوقفنا احد الاصحاب على لائحة ماسونية فيها تفاصيل النزاع الواقع بين محفلي صنين والسلام فيحرم كلّ منهما الآخر ويوبّخه . فخطر على بالنا قول صاحب المزامير (١٢٦ : ١) : « ان لم يبنِ الربُّ البيت فباطلاً يتعب البنّاؤون » (الاحرار)

﴿ ضفدع وزهرة متحجّرتان منذ ملايين من السنين ﴾ احبّت مجلّة الهلال رواية الاخبار العجيبة المستغربة ففي عددها الاخير (يناير ص٤٣٢-٤٣٣) صوّرت ضفدعة متحجّرة وُجدت في منجم كبريت في اسبانية تظهر فيها عضلات جسمها وتجعّدات جلدها فزعمت انّ هذا الحيوان « عاش منذ ملايين السنين » (كذا) . ثمّ انتقلت الى ذكر زهرة اثبتت ايضاً صورتها فقدّرت عمرها كما قدّره الاستاذ وبلاند « بنحو ١٠ مليون من السنين » . فترى كيف يتلاعب صاحب الهلال بالملايين كأنها في حسابه ربوات السنين او آلافها . فاين القياس الذي استند اليه ؟ ألا يعلم انّ تحجّر النبات والحيوان يتمّ سراعاً باقلّ من مئة سنة . وهب انهُ تمّ بعشرة اضعاف هذه المدّة فاين نحن من الملايين . والعجب انّ مجلّة الهلال لم تستنتج من عمر الضفدع والزهرة برهاناً مفحماً للدرويينيين الزاعمين بسُنّة التحوّل والتطوّر . وهاهنا مثلان من بقاء نوعي النبات والحيوان على اصلهما منذ ملايين من السنين لا بل نشرت ما يدلّ على تناقضها في فصل « للعلامه موسى » عنوانهُ « لماذا أؤمن بنظريّة التطوّر » فجاء صاحبها بالسفسطة التي اعتادها الدرويينيّون ولم يثبتوا الى اليوم مدّعاهم بغير الرهميّات والظنّيات

﴿ قداسة البابا والازياء الخلاعيّة ﴾ لكنّنا نثني هنا على ما روته المجلّة المذكورة (هلال ديسمبر ص ٣٢٧) عن حملة الكنيسة الكاثوليكيّة على الازياء الخلاعيّة واستحسنت دعوة « صاحب القداسة البابا بيوس الحادي عشر جميع النساء الى الاحتشام وعيبهُ عليهم عدم مبالاتهنّ بالحياء في الظهور امام الناس وفي الكنائس خاصّة وتأليف جمعيّة من النساء في رومية لتحقيق اغراضه مع ذكرها الصلاة المرفوعة منهنّ لهذه الغاية وختمت بقولها : قد وضع البابا وساماً يُعطى للنادي النسائي الذي يخترع لباساً جامعاً للجمال والحشمة » فيا ليت الهلال تعوّدنا على مثل هذه الاخبار السارّة في كلّ عدد من اعدادها

أسئلة وأجوبة

س سأل احد المستشرقين ما هو المذهب السلفي الذي زعم المسيو لويس ماسينيون في بعض منشوراته انَّ معظم اهل الشام منتسبون اليهِ ومن هو صاحبهُ؟

المذهب السلفي وصاحبهُ

ج المذهب السلفي منسوب الى صدر الدين ابي طاهر احمد بن محمَّد . . . بن ابرهيم سِلَفَهُ الاصبهاني المولود في اصبهان والمتوفَّى في الاسكندريَّة في ٥ ربيع الآخر سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) وترجمتهُ في وفيات الاعيان لابن خلكان (éd. de Slane p. 43-44) وليس لهُ مذهب خاصّ كاصحاب المذاهب الاسلاميَّة الاربعة الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي وانَّما كان شافعيّ المذهب إلَّا انَّهُ كان احد الحفَّاظ المكثرين يرجع اعيان الفقه الشافعي الى قولهِ لكثرة محفوظاتهِ ومنشوراتهِ . واسمهُ السِّلَفي نسبة الى احد اجدادهِ المشقوق الشفاه . وسِلَفَة بالفارسيَّة ثلث شفاه

س وسأل من مصر الاديب يوسف افندي المدوَّر: أصحيح ما قرأهُ من زمن قريب في المقطَّم ان البابا اقليمس الرابع الذي كان مقترنًا بالزواج قبل دخولهِ في سلك الاكليروس وانتخابهِ للبابويَّة (١٢٦٥-١٢٦٨) منع ابنتهِ عن الزواج ورغَّبها على التوحُّد ؟

ج لا سند لهذه الرواية . وعلى خلاف ذلك اثبت المؤرِّخ همّر (H. Hemmer) انَّ الواحدة منهما مابيل (Mabille) تزهَّدت برضاها وافترنت الثانية سيسيلية بالزواج وجعل لها والدها بائنة موافقة لمقامها الوسط . وكذلك ساعد ابنة اخيهِ على زواج قانوني فاين القسر في كلّ ذلك ؟

س وسأل الاديب يوسف افندي صفير : ١ً من هو الكاتب المجري صَفير . ٢ً من هم الرافضة الكروانيين الذين ردَّ عليهم ابن تيميَّة

ج ١ً لم يضبط السائل اسم الكاتب المجري وانَّما اسمهُ مكس سَفير او صَفير (Saphir) ولد في المجر سنة ١٧٩٥ وتوفي سنة ١٨٥٨ كان يهوديّ الاصل ثمَّ جنح الى المذهب البروتستاني واشتهر في ڤينا بتحرير الجرائد ونظم الشعر الالماني والمجري . ٢ً الرافضة كما جاء في تاج العروس (٥ : ٣٤) فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب ثمَّ رفضوهُ وتركوهُ فدُعوا بالرافضة . وكان منهم قوم في كروان ردَّ عليهم ابن التيميَّة (راجع مقالتنا في ابن تيميَّة) ل . ش